

المستورات
دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : محمد الجعايبس

للإهداء (الترجمة والنشر)
٧٥ ريالاً للأفراد و١٥٠ ريالاً للغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
نموذج الإذن : ١٣ ريالاً

ج ٨٧ و ١٨ محرم وصفر ١٤٠٤ هـ - تشرين ٢٠١ (أكتوبر، نوفمبر) ١٩٨٣ م

الدَّرَرُ الفَرَّائِدُ المُنَظَّمَةُ

في

أخبار الحجاج وطريق مكة المخطئة

[صدر عن (دائرة الجامعة للبحث والترجمة والنشر) هذا الكتاب الذي يعتبر أشمل كتاب لجميع أخبار الحج ، ووصف طرقه ، وذكر حوادثه ، ويقع في ثلاثة مجلدات تزيد على أثنى صفحة .
والعرب ، تنشر المقدمة التي كتبها رئيس تحريرها للتعريف بهذا المؤلف القيم ، مع ترجمة لمؤلفه .

هذا الكتاب : - حسب علمي - يُعدُّ فرداً في موضوعه ، كما وصفه مؤلفه : (لم آخذ في تأليفه على مثالي سبق ، ولا على نمط تقدمني فيه غيري) فلقد أوفى الكلام فيه على ما يتعلق بإمارة الحج في آخر عهد ملوك الجراكسة وأول عهد العثمانيين إلى ما بعد منتصف القرن العاشر الهجري (سنة ٩٧٢ هـ).

ولقد وصف طرق الحج إلى مكة المكرمة ، وفصل الكلام بصفة خاصة على طريق حاج مصر ومن يأتي مع ذلك الطريق البري من القاهرة إلى مكة المكرمة ، مُجتازاً بصحراء سيناء إلى العقبة فساحل البحر إلى ينبع ، فضبط أسماء المواضع وحددّها ، ووصف المناهل ، وقدر المسافات بينها ، وسمّى العربان بتفصيل بطونهم وأفخاذهم ، وذكر بعض مشاهيرهم ، وبيّن حدود درك كل قبيلة من قبائل الدّرَب ، مع تدوين

بعض الحوادث المتعلقة بأولئك العربان في ذلك العهد ، بما لا يحده الباحث في غير هذا الكتاب .

وعرض المؤلف لذكر أمراء الحاج منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - إلى سنة ٩٧٢ وسجل جوانب مهمة وافية ، من تاريخ تلك الفترة تتعلق بتاريخ مكة المشرفة ، وحوادث الحج ، كما صور كثيراً من المآسي التي كانت تقع من عمال الدولة التركية ، مما شاهده المؤلف بنفسه أو علمه ، لقوة صلته بهم ، مما قل أن يوجد في غير هذا الكتاب .

ومن ميزة هذا الكتاب أن ما يتعلق بإمرة الحاج ، ووصف الطريق من مصر إلى مكة ، وذكر مناهله ومواضعه وسكانه ، كان المؤلف في كل ذلك يعتمد على مشاهداته ، وما عرفه عن ذلك الطريق الذي أكثر التردّد في السير فيه . كما سيأتي ذلك موضعاً في مواضعه من هذا الكتاب .

ثم إن هذا الكتاب يعدّ سجلاً لحوادث حقبة من الزمن من تاريخ مصر ، تكاد تكون جوانب من تاريخها غامضة . ولا أدري لِمَ لَمْ يَتَلَّ عنايةً من العلماء - وخاصة من المهتمين بتاريخ مصر ومعاصري المؤلف منهم - فقيه من أخبار هذه البلاد خلال القرن العاشر الهجري ما لم أره في غيره ، مع ندرة الكتب المؤلفة في تاريخ تلك البلاد في هذه الحقبة من الزمن ، وخاصة ممن كان بمنزلة كمنزلة المؤلف في قُربه من رجال الدولة ، وسعة اطلاعه على أحوال تلك البلاد .

وأخشى أن يكون في جذوة لسان المؤلف ، ونبله من علماء تلك البلاد ما سبب بقاء كتابه مغموراً ، وسرى القارئ أنه - عفا الله عنه - كثير الذم للعلماء من قضاة ومدرسين ، بوصفهم بالجهل وسوء التصرف ، بل قد يندفع إلى استعمال بعض العبارات السيئة .

ومما تجب ملاحظته أن الكتاب ألف في عصر اتسم بالجمود الفكري ، وانتشار البدع والخرافات في العالم الإسلامي ، بدرجة طغت طغياناً لم يسلم منه إلا من عصم الله (وقليل ما هم) .

ولهذا فإن القارئ سيجد في مواضع من هذا الكتاب ما قد لا ترتاح إليه نفسه ، ولا ينشرح له قلبه ، بل قد يجد فيه مصادمة لبعض ما يفهمه من بعض النصوص الشرعية ، مما اكتفيت بالتنبيه عليه في الحواشي .

ومما يهون شأن تلك الأمور - وإن كانت ليست هيئته بنفسها - أن الصحوة الفكرية التي شملت العالم الإسلامي ، قد أزالَت كثيراً مما لصق بعقول بعض المتسبين إلى العلم من آثار المتقدمين ، من أوهام وبدع وخرافات ، قد ألصقت بالدين ، وهو منها بريء ، وأن كل قارئ - في هذا العصر - يستطيع أن يُميز ما في هذا الكتاب من هفوات . بدون أن يخشى عليه أن يتأثر بها .

ولو نظرنا نظرة عامة إلى ما خلفه لنا المتقدمون من مؤلفات ، وأردنا الاختصار منها على ما ليس فيه ما لا نرتضيه ، بحيث نريده سالماً من كل عيب ، لقلَّ ما نحصل عليه من ذلك التراث ، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ «سورة النساء الآية ٨٢»

ولقد أدرك بعض علماء عصرنا قيمة هذا الكتاب ، فأشاروا على شيخ السلفيين ، ومحب العلماء الشيخ محمد حسين نصيف (١٣٠٠ - ١٣٩١ هـ) لكي ينشره ، فنسخ نسخة عن مخطوطة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، في المدينة المنورة ، ثم عهد بقراءتها وتصحيحها إلى الأساتذة عبد الرزاق حمزة ، وأحمد ياسين الحيارى ، وإبراهيم حمدي الخربوطي ، وسليمان الصنيع - رجمهم الله - والأستاذ محمد سعيد العامودي - حفظه الله - .

ثم بعث الشيخ محمد - تلك النسخة للطبع إلى الأستاذ محب الدين الخطيب ، صاحب المطبعة السلفية في مصر ، لطبع الكتاب .

ويظهر أنَّ الأستاذ محب الدين - رحمه الله - لم تمكنه ظروفه من البحث عن مخطوطات لهذا الكتاب سوى النسخة التي اطلع عليها في (خزانة الأزهر) فاكتفى بمعارضة إحدى المخطوطتين بالأخرى ، وما سقط من إحداها أكمله من الثانية ، ونبه

على ذلك في أسفل الصفحات .

كما وضع في الحواشي تنبيهات قيمة ، وتم طبع الكتاب في سنة ١٣٨٤ في ٧١٤ صفحة .

ويظهر أن النسختين - اللتين اتخذتا أصلاً للطبع - كثيرتا التحريف ، كغيرهما من نسخ الكتاب الأخرى ، وقد اعتذر الأستاذ محب الدين - رحمه الله - عن ذلك بقوله : (بل قد يكون تحريف على النساخ كلمات وجمل ، تمكنا من رد بعضها إلى الصواب ، وخفي علينا كثير مما لعل غيرنا يتمكن من تصويبه وإصلاحه . وأنا قد بذلت جهدي بقدر ما سمح لي به الوقت ، وتقدم السن ، لتكون بين أيدي القراء نسخة من هذا الكتاب أصلح من الأصلين اللذين رجعت إليهما عند الطبع . ولا شك أنه إذا أعيد طبعه ولا سيما إذا استعين بمخطوطات أخرى غير اللتين قارنّا نحن بينهما فستخرج للناس حيثند طبعة أصح من التي تسرت لنا) انتهى .

ويضاف إلى هذا أن المؤلف - رحمه الله - ركّز الأسلوب ، ويستعمل كثيراً من الكلمات العامية وكثيراً من الكلمات (التركية) التي كانت مستعملة في ذلك العصر إبان بسط الأتراك نفوذهم على البلاد العربية ، فكانت مصطلحات لغتهم الأعجمية مستعملة في الدواوين في الأقطار العربية في مصر ، وفي الحجاز ، وفي غيرها .

ومهما يكن فإن المطبوعة الأولى من هذا الكتاب أمدّت الباحثين في موضوع الحج وطرقه ، ومختلف أحواله بكتاب ذي قيمة عظيمة ، ولكنه ليس على الصفة التي أرادها مؤلفه من الكمال .

لقد كانت مخطوطتنا مكتبة عارف حكمة ، وخزانة الأزهر يرجعان إلى أصل واحد ، هو مُسَوِّدَةُ المؤلف الأولى ، وقد أعاد المؤلف النظر فيها فغيّر وزاد زيادات كثيرة ، قد تقارب نصف الكتاب ، وأشار إلى ذلك إذ قال في مخطوطاته الأخيرة - التي سيأتي وصفها - ما نصه : (أقول : قد انقضى تسويده ، ولا أقول تحريره وتبييضه ، في يوم الأحد المبارك الميمون ، لست ليال خلّت من شهر رمضان المعظم قدراً ، وحرمة ، من

شهور سنة إحدى وستين وتسع مئة من الهجرة النبوية ، وكان جمعي له في أوقات الفراغ ، من فكرة يقدح زناد هومها ، ومحنة تنوالى على الخاطر غموها ، ومدة التأليف والاشتغال عنه بينها بون وأبعاد ، فهي في التعداد لا تفي بالمراد ، ثم بعد مدة أعوام ، وقد مَنَّ الله تعالى - وله الحمد - بالفسحة في الأجل ، ويسر ما أراد جمعه في هذا المؤلف من الأزل ، شَمَرَتْ عن ساعد الاجتهاد ، وَنَفَحَتْ تلك المَسْوَدَةَ ، ورتبتها ، وزدَّتْ عليها ما به - إن شاء الله تعالى - حصول النفع لمن استزاد ، فجاء بحمد الله وعونه وافيًا بالمراد ، حسن الاحتصار والاقتصاد ، مع أنني لم آخذ في تأليفه على مثال سبق ، وعلى نَمَطٍ تقدمني فيه غيري فأقول : قد حاز فضل السبق واستحق ، وإنما جمعته حسب البديهة من منح العزيز الحكيم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

كما ذكر المؤلف بعد سرد ما أورد من حوادث سنة ٩٦١ هـ ما نصه : (وهذا آخر ما كتبناه في هذا الباب في المسودة إلى سنة إحدى وستين ، ولما مَنَّ الله تعالى بالفسحة بالعمر - وله الحمد - فنذكر ما تجدد من ولاية إمرة الحاج بعد ذلك فنقول) ثم شرع في تسجيل حوادث ما بعد تلك السنة ، مما لم يرد في المطبوعة وأشار إلى مثل هذا في مواضع أخرى .

من هنا يتضح أنَّ الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، لا تُقدِّم للقارئ صورة كاملة للكتاب كما أراده مؤلفه ، فكان لأبد من نشره بطريقة أوفى من تلك المطبوعة ، بعد العثور على أصول لم يطلع عليها الأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله - لِأَنَّهُ أَجَلُ من أَنْ يَرْضَى بأن ينشر الكتاب ناقصًا .

ومع ذلك فتلك الطبعة يعيها أمور :

منها : كثرة الأخطاء فيها بدرجة تستغرب من مطبوعة يشرف عليها محقق جليل كالأستاذ محب الدين ، وعُدَّه قد أشار إليه في المقدمة التي وضعها ، وهو تقدم السن ، ويضاف إلى هذا تراكم الأعمال عنده ، وقت نشر الكتاب ، كما شاهدت هذا الأمر بعيني حين زرته في السنة التي طبع فيها الكتاب .

ومنها : خُلُوُّ الكتاب من فهارس مفصلة لما يحويه من أسماء المواضع وأسماء بطون القبائل ، وأفخاذها ، مع أسماء الأعلام الكثيرة .

ووضع فهارس مفصلة للكتاب من مستلزمات هذا العصر ، إذ القارئ بحاجة إلى توفير الوقت مع الاستفادة من الكتاب في أقصر زمن .

ويضاف إلى ما تقدم ندرة النسخ المطبوعة التي مضى على تداولها أكثر من ربع قرن .

ترجمة المؤلف

ليس بين يديَّ من المصادر التي أُعول عليها في ترجمة مؤلف هذا الكتاب سوى ما ورد في الكتاب نفسه ، ومنه استقى محمد بن عبد الله بن حُمَيْدُ الْعُيَيْنِي (١) النجدي الحنبلي مؤلف كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ما أورده للمؤلف من ترجمة .

ولعلَّ الذين أتوا بعد صاحب كتاب «السحب» مثل بروكلمان ، والأستاذ الزركلي ، وغيرهما ممن ترجمه - عولوا على ما جاء في كتاب «السحب» فوقعوا في بعض الأخطاء .

والمؤلف هو عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الْجَزِيرِي ، وهو حنبلي المذهب ، ولقبه زين الدين كما ذكره صديقه النهروالي في «البرق البهائي» وكما في طرة النسخة المغربية ، لا كما لقبه العصامي (محيي الدين) (٢) .

وذكر ابن حُمَيْدٍ - وهذا غير صحيح - أنه منسوب إلى جزيرة الفيل ، التي قال عنها السخاوي في «بلدانياته» : (البلد التاسع عشر جزيرة الفيل ، وهي حادثة بين المنية وبولاق ، متسعة ، فيها عدةُ بساتين، وسوق، وخطبة (٣) ، جدد على وجه حسن ، وأضيفت إلى الفيل لأنَّ مركبًا - فيما قيل - كان يعرف بالفيل لعظمه وكبره ، انكسر في موضعها حين كان غامرًا بالماء ، فَتَرَكَ إلى أن رَبا عليه الرمل ، وانطرد عنه الماء ، بحيث صار جزيرة ، والنسبة إليها جزيري ، كععض الطلبة من فضلاء الحنابلة ، أو جَزْرِي كغير

واحد ممن انتسب لجزيرة ابن عمر وغيرها ، وقد يشتون الياء أيضًا في بعض المنسوين لجزيرة ابن عمر ، كالمسنوين للجزيرة الخضراء بالأندلس ، وهم جماعة ، وقد قرأ بها شيخنا على شيخه العراقي - رحمه الله - وتبعته في ذكرها ، وكان العراقي يُنمّي بها أيام سكّنه فيها) - انتهى .

وقال ابن حُمَيْد في « السحب » : (ذكره السخاوي في البلدانات) ولعل صواب الجملة : (ذكرها السخاوي) إذ الجملة التي قبلها : (نسبة إلى جزيرة الفيل من أعمال مصر) فالضمير يرجع إلى الجزيرة ، لا إلى المترجم ، لأنني طالعت كتاب « بلدانيات السخاوي » فلم أرَ فيه أكثر مما نقلت ، والنسخة التي اطّلت عليها هي النسخة التي اطّلع عليها صاحب « السحب الوابلة » وعليها كتابته مؤرخة في سنة ١٢٦٤ ، ولا تزال النسخة موجودة عند أحد آل بسام في مدينة عُنَيْزة .

أما صاحب كتاب « إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون » فعده منسوبًا إلى الجزيرة الفراتية فقال : (العراقي) وهذا هو الصواب فقد ذكر الجزيري نفسه في آخر كتابه في ترجمة والده ما نصه : (أخبرني - أسكنه الله تعالى بحاج الجنان - أنَّ منشأ الجدود من أصول والده ، من الجزيرة الفراتية ، بعراق العرب ، بالقرب من بغداد ، وأن بعض أقاربه موجود بتلك الديار والبلاد ، وأن مكاتبات بعضهم كانت ترد عليه بمكة ، قال : ولذلك كان إمامنا ... أحمد بن محمد بن حنبل ... لقربنا من دياره ، وتتبعنا لآثاره . وأما والدته التي هي جدي فأصلها من الأكراد ، وجدها الأعلى من أعيان أمراءهم ، وكانت لهم من أوقافه أماكن متعددة ، ومنازل هائلة متفردة بخط الدرب الأحمر وغيره خارج باب زويلة ، وطواحين بخط الدرب الكافوري ، وغيره) (٣) .

وأشار إلى تفرق أقاربهم في الشام وحماة ، وانقطاع أخبارهم ، فلم يرَ منهم أحدًا . ومن ترجمة والده - التي أوردتها - يتضح أنَّ الوالد عاش في بيئة علمية ، وأنَّه درس الطب فبلغ من ذلك ما أهَّله للعمل في (البيارستان المنصوري) في أول عمره بعد أن نال إجازة من أطباء عصره وعلمائه (بما تميز به بين أقرانه من معرفة علمي الطب والكحل في عصره) وكلمة (البيارستان) تعني المستشفى ، والكحل : طب العيون ، ثم

تولى إدارة (البيمارستان) وأصبح من أعيان كتاب (الدست) في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل، في عهد الملك الأشرف قانصوه الغوري .

وتولى الكتابة في (ديوان إمرة الحاج عدة سنين) وفي ديوان إمرة المحمل ، فجمع ما كان متفرقاً من معرفة أمور هذا الديوان ، فضبط ذلك على قانون الترتيب والتبيين ، ونوع أصناف هذا .

ثم أصيب بالفالج مدة سنتين وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٤٤ هـ وذكر أنه دفن في تربة والديه مما يدل على أن استيطان الأسرة قبل وفاة جدّي الجزيري .

وقد نقل الجزيري تاريخ ولادة أبيه عن كتابة جده مما يدل على أن جدّه ممن يهتم بكتابة التاريخ .

تاريخ ولادته :

يعتبر كتاب الجزيري المصدر الوحيد لترجمته ، فقد أعياني البحث فلم أجد غيره أو من نقل عنه ، ولهذا فعلى كل من أراد أن يعرف من أحواله ما لم يرِدْ في هذه الترجمة الموجزة أن يرجع إلى كتابه ، فسيجد تفصيل ما أملت إليه .

لقد نصّ المؤلف في كتابه هذا على أنه ولد سنة ٩١١ ، فقال : (سنة إحدى عشر وتسع مئة فيها كان مولدي، كما رأيته بخط الوالد - تغمده الله برضوانه ، وسقى عهاده صوب الرحمة - في الليلة المسفر صباحها عن يوم الأربعاء سادس عشري شهر شعبان المكرم من السنة المذكورة).

ومن هذا يتبين خطأ قول صاحب «السحب الوابلة» ومن تابعه ، من أنه ولد في محرم سنة ٨٨٠ فهذا التاريخ هو سنة ولادة أبيه ، لأنه قال في الكتاب نفسه : (سنة ثمانين وثمان مئة في غرتها مولد المرحوم الوالد في شهر الله المحرم).

ولا أطيل بذكر ما يتعلق بحياته مما ورد ذكره في هذا الكتاب ، وسيجده القارئ مُفصلاً في الكلام على (كتاب ديوان إمرة الحاج).

ويظهر من ذلك أنه كان في أول أمره يتعاطى التجارة مع اشتغاله بطلب العلم ، وميله إلى التصوف في باكورة شبابه . وكان يحج مع أبيه مساعداً له ، ومشتغلاً بالتجارة أيضاً .

أما عن حياته العلمية فقد فصل جانباً منها ، فذكر شيوخه ، وذكر ما تلقى عنهم من علوم وما قرأ من كتب ، في كلامه على (كتاب ديوان إمرة الحاج) في (الفصل الثاني) من (الباب الثاني) من هذا الكتاب ، وذكر القطبي أن علماء مذهبه أجازوه بالإفتاء والتدريس - وسياقي نص كلامه - .

وفي سنة أربعين وتسع مئة عمل مع أبيه في وظيفة كاتب (ديوان إمرة الحاج) ، حتى توفي أبوه بعد أن انقطع عن العمل بمرض الفالج ، فاستقل بعده في العمل ، وصار كما يقول : (كالخبوس على أمر هذا الديوان) وأشار إلى أنه هو الذي رتبّه بعد أبيه ، ووضع القواعد التي يعتمد عليها في أمور الحاج ومهماته .

وأشار في هذا الكتاب الذي بين أيدينا إلى بعض أزمان تحلّى فيها بما ملخصه : (في هذه السنة لم أتوجّه صحبة الحاج ، بل جهزته وقضيت أسبابه وامتنعت عنه ، بعد استئذان علي باشا كافل الديار المصرية في ذلك ، لِمَا رأيته من تغير أحوال أمير الحاج ، وعدم ثقته بأحد ، ولا بولده ، وتلقّيته إلى قطع العوائد المقررة ، وشدة تعاطفه بحيث أنه لا يتكلم مع أحد إلا بترجمان).

وقال في الكلام على أمير الحج سنة ٩٦٤ - خضر بن عبد الله الرومي - ما خلاصته : (ولما رأيته مكيّاً على هذه الأفعال ، وأفعاله غير محمودة ولا مشكورة ، فارقه في ثامن شوال ، ولم أجب على صحبته ، بل كتبت للسلطنة دفترًا بما يفعل).

ويظهر أنه كان يتأخر عن مرافقه أمير الحج في بعض السنين ، لا في كلها ، لأن مؤرخ مكة قطب الدين الحنفي النهروالي قال في كتاب «البرق النجدي في الفتح العثماني» (٤) في الكلام على الأمير أحمد كوجك ، أحد قواد الجيش التركي في اليمن ، الذي قُتل في حصن بَعْدَانَ ، سنة ٩٧٧ هـ : (وكان أحمد هذا قريباً من قراقوش في أحكامه ، وكان

أمير الحاج المصري سنة ٩٧٦ هـ فغضب على مباشر الركب المرحوم القاضي زين الدين الجزيري الحنبلي ، وكان فاضلاً أديباً لبيباً مؤرخاً ، أجاز له علماء مذهبه بالإفتاء والتدريس ، ومع ذلك كان شيخاً مسنناً وقوراً ، فما استحيا أحمد بك من شيبته ، وضربه ضرباً مبرحاً ، ثم حطه في الحديد ، ومشاؤه مرحلة كاملة ، مع زيادة ضعف بدنه وترفهه ، وحصل له بذلك الثواب العظيم عند الله تعالى ، بالنصر على هذا الظالم ، ولعل أحمد بك ما هلك بعد ذلك إلا بدعائه عليه (شعر) :

أَلَا قُولُوا لِشَخْصٍ قَدْ تَقَوَّى عَلَى ضَعْفِي وَلَا يَخْشَى رَقِيبَهُ
خَبَأْتُ لَهُ سِهَامًا فِي اللَّيَالِي وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ مُصِيبُهُ

لقد طال عهد عمل المؤلف في الديوان ، مشاركاً لأبيه ، ثم منفرداً حتى قارب الخمسين عاماً ، لأنه ذكر أن أولى حجاته مع والده كانت سنة ٩٢٦ ، وذكر ابن حميد في «السحب الوابلة» أن آخر حجة له كانت سنة ٩٧٦ وهذا يتفق مع ما أورده النهروالي ، إذ ليس من المعقول أن يتحمل من جفاة أمراء الأتراك وغيرهم من العسف والظلم أكثر مما عانى ، ولا سيما وقد بلغ الخامسة والستين من عمره .

وذكر في الكلام على أخبار سنة ٩٦٧ - أنه عُرِضَتْ عليه أعمال كتابية فامتنع عن قبولها .

وللشيخ الجزيري صلة قوية بعلماء مكة في عصره ، كآل فهْد ، كما يفهم من عبارات وردت في هذا الكتاب ، كالشيخ جار الله محمد بن عبد العزيز (٨٩١ - ٩٥٤ هـ) وهو يصفه بأنه (صديقه) ، والشيخ قُطب الدين المكي المتقدم ذكره ، في طرة مخطوطة (مكتبة عاشر أفندي) في (السلبانية) في (اسطنبول) من كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» إشارة إلى ما بين العالمين من الصحبة ، وما جرى بينهما من الاجتماع ، والمكاتبة ، وأن الجزيري كان يكتب إلى القطب ، فيما كتب إليه قوله :
يُقْبَلُ أَرْضًا أَشْرَقَتْ شَمْسُ عَلِمِهَا وَقَدْ شَرُفَتْ أَصْلًا وَفَرَعًا وَمَحْتَدًا
ثم ذكر أحياناً أورد بعدها : (فأجابه على غير الروي) :

إِذَا كَتَبْتُ كَفَيْ كِتَابًا إِلَيْكُمْ مَحْتَهُ دُمُوعٌ طُولَ أَوْقَانِهَا تَتَرَى

وفي هذا الكتاب إشارات كثيرة إلى ما بين الرجلين من الصلة ، كالأرجوزة التي وجهها للقطب المكي (حوادث سنة ٩٥٤) ، وكثرة ثنائه عليه والكتابة إليه بما يحدث من أخبار مكة المكرمة ، وله صلة بالشيخ حبيب الله النهروالي^(٥) أخي الشيخ القطب المكي ، فقد أشار إلى مكاتبات جرت بينه وبين الأخوين ، ونقل عنها بعض الأخبار ، المتعلقة بالحجاز واليمن .

وهو كثير الشناء على أمير مكة في عهده أبي نُعمي ، والدعاء له ، ومحاولة إبراز كثير من تصرفاته إبرازاً حسناً ، وخاصةً ما يحدث بينه وبين أمراء الحلاج ، ولعل هذا ناشئ عن تأثره من كثير أعمال ولاية الأتراك في عهده ، ومحبه للعرب ، ونظرته إليهم باعتبارهم مضطهدين من أولئك الولاة .

ومع صلة الجزيري بعلماء عصره ، وتلقيه العلم عن مشاهير علماء القاهرة في عهده ، إلا أن أسلوبه في الكتابة ضعيف ، وإن حاول تحسينه باستعمال السجع ، فهو يستعمل كثيراً من الكلمات في غير محلها .

وتكثر في عباراته إنكلمات العامية مثل (العيان) ويقصد المريض و(رزيل) و(رزالة) وصوابها بالذال لا بالزاي ، بل يقع في كلامه كثير من اللحن ، ومخالفة قواعد اللغة نحواً و صرفاً .

وقد يكون ذلك أو بعضه من تحريف النسخ ، وهذا ما دعا إلى إصلاح كلمات وردت غير صحيحة مما يستبعد ورود مثلها عن المؤلف .

والمؤلف عاش في العصر الذي استولت فيه السلطنة العثمانية على مصر والحجاز ، وغيرهما من الأقطار الإسلامية ، ولصلته بالدواوين ورجال الأعمال كالولاة والأمراء ، وجلهم أتراك ممن لا يحسن إلا اللغة التركية فانتشرت الألقاب والكلمات الأعجمية ، التي كثر استعمال المؤلف لها في هذا الكتاب .

وبما يُحَمَّدُ لمؤلف هذا الكتاب أنه مع كونه معدودًا من رجال تلك الدولة إلا أنه لم يتأثر بصلته بهم ، فكان كثير الانتقاد لأعمال الولاة نقدًا قاسيًا .

وكان كثير الدفاع عن العرب ، الذين يمر بهم طريقُ الحج من مصر إلى مكة المكرمة ، ممن يقوم بحراسة الحاج عند مرورهم بمنازل ذلك الطريق ، مقابل ما تصرفه لهم الدولة من مرتبات سنوية ، هي على ضآلتها عرضة لتصرف بعض أمراء الحاج بها ، تصرفًا يثير غضب أصحابها ، فتسوء بسبب ذلك معاملتهم للحجاج ، ولكن الجزيري يدرك أن السبب هو هذا التصرف ، فينحي على الأمراء باللائمة ، وكثيرًا ما حاول إصلاح الأمور بين أولئك العربان ، وبين أمراء الحاج ، وتسهيل أمور العربان ، وكان يتولى القضاء في بعض ما يحدث بينهم وبين الحجاج - بحكم عمله - (٦) .

ولعل من أسباب تأثره من سوء معاملة ولاية الأتراك وأمرائهم للعرب تأليفه كتاب «خلاصة الذهب في فضل العرب» ليدرك هؤلاء الذين قاسى المؤلف نفسه منهم كثيرًا من ضروب الإهانة والظلم ، كما قاسى العرب الذين كانت لهم صلة بأولئك الحكام مثل ذلك ، مما يجد القارئ إشارات كثيرة عنه في هذا الكتاب .

ومن ذلك ما ذكره المؤلف في حوادث سنة ٩٦٧ أن والي مصر (علي باشا) أمر بإحضاره إلى الديوان بواسطة (جاويش) وألزمه بأن يكون كاتبًا على مهمات إمرة الحاج على عادته ، فأجاب بعد إلحاح ، ولعله ألف ذلك الكتاب ليدرك أولئك الولاة ما للعرب من فضل .

وكثيرًا ما جأر الجزيري من استبداد ولاية الأتراك وظلمهم للرعية ، وترفعهم وتجبرهم ، كقوله في حوادث سنة (٩٧٠ هـ) : والقتيل من أولاد العرب لا يؤخذ له بثأر ، وعمت الأحوال الخبيثة بالأشرار والأضرار - وأشار في ذكر حوادث هذه السنة إلى أن القتل إذا كان من الرعية والقاتل من الروم يعني الترك - فإن دمه يذهب هدرًا ، لتفضيل الروم أنفسهم على غيرهم .

وفاة المؤلف :

الغريب في حال الشيخ الجزيري - رحمه الله - أن ما أدركه من خمبول وعدم شهرة - بحيث لم أرَ له ذكرًا في المؤلفات التي تعرضت لتراجم علماء القرن العاشر كـ «شذرات الذهب» و«الكواكب السائرة» - أدرك تلاميذه الذين عدَّ ابنُ حُمَيْدٍ منهم : (العلامة عبد الرحمن البهوتي كما نقل عن تلميذه الشيخ منصور البهوتي في حاشيته على «الاقناع») فلم أجد في ترجمة عبد الرحمن هذا في «السحب» وفي «خلاصة الأثر» ما يليق ضوءاً على حياة صاحبنا الجزيري، بل ولا تفصيلاً في ترجمة تلميذه عبد الرحمن هذا، وكل ما رأيت بعد ذكر عدد من آبائه : وأن من مشائخه منصور البهوتي وعبد الباقي الدمشقي الحنبلي، وأنه كان حياً سنة ١٠٤٠ هـ .

لهذا ليس أمامنا ما نستدل به على تاريخ وفاة الجزيري إلا الاستنتاج ، فابن حُمَيْد الذي أفرد له ترجمة في كتابه «السحب الوابلة» نقل ما فيها عن كتاب الجزيري نفسه، ولهذا قال : إنه لم يعرف متى تُوُفِّي، وأتى بروكلمان^(٧) ، والزركلي^(٨) ، فجعلنا سنة ٩٧٧ هـ تاريخاً مقرباً لوفاته .

ولا شك أنها استتجا ذلك مما ذكر ابن حُمَيْد أن الجزيري استمر في كتابة التاريخ إلى سنة ٩٧٦ هـ - وإذا صحَّ هذا فلعل ابن حُمَيْد أطلع على نسخة لم تصل إلينا، ولعل مخطوطة (فاس) منقولة عنها .

وإذا رجعنا إلى الكتاب نفسه - في النسخ التي بين أيدينا - وجدنا المؤلف يذكر الشريف أبا نُئِيٍّ - أمير مكة - كثيراً ويدعو له بدعاء الحيِّ ، وأبو نُئِيٍّ هذا تولى إمارة مكة سنة ٩٢٦ وما بعدها . وتوفي سنة ٩٩٠ هـ - ومدة ولايته مشاركاً لأبيه ومستقلاً بها نحو ثلاث وسبعين سنة^(٩) .

كما يذكر السلطان سليمان بن سليم الذي توفي سنة ٩٧٤^(١٠) - ويدعو له بالنصر .

ونجد المؤلف في الفصل الذي خصصه لذكر أعيان العلماء الذين حجوا، نجده ترجم الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراي ، وذكر وفاته في جادى الآخرة سنة ٩٧٣ هـ .

وفي الفصل الذي عنوانه بـ (ذكر من ولي مصر نيابة من ابتداء الفتح الحنكاري)
ذكر إبراهيم المعمار، وأرخ وفاته في ثاني رجب سنة ٩٧٤.

ونجد في خاتمة المخطوطة المحفوظة في (مكتبة القرويين بفاس) ما نصه : (وكان الفراغ
منه ضحى يوم الأحد الميمون الرابع لشهر رمضان المعظم من شهور سنة تسعة (؟)
وسبعين وتسع مئة).

ونجد آخر نسختي (دار الكتب) و(بيل) بهذا النص : (وكان الفراغ من كتابته يوم
الأثنين ، لست ليال خلت من شهر رجب الأصب، سنة ٩٩٠^(١١) - أحسن الله
عاقبتها. قائلاً ما رأيت مسطراً بآخر «إعراب الألفية» لشيخ شيخنا في الأدب العلامة
الأوحد خالد الأزهرى، والشعر لغيره :

تَرَى الْفَتَى يُنَكِّرُ فَضْلَ الْفَتَى لَوْ مَا وَحُبُّنَا فَإِذَا مَا ذَهَبَ
لَجَّ بِهِ الدَّهْرُ عَلَى نُكْتَةٍ يَكْتُبُهَا عَنْهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ
وليس هذا التاريخ المذكور هو تاريخ النسخ، فتاريخ النسخ متأخر عن هذا الزمن،
والاستشهاد بما أورده عن الشيخ خالد الأزهرى، ثم عد الأزهرى شيخاً لشيخه يدل
على أن الكلام للمؤلف نفسه - فشيخه على ما ذكر حين عدّ مشايخه هو علي بن ياسين
بن محمد الطرابلسي الخطابي، وقد أعطاه نسخته من كتاب «مغني اللبيب» التي قرأها على
الشيخ خالد الوقاد الأزهرى .

ولكنني لا استبعد أن ناسخ أصل النسختين صحف كلمة سبعين فكتبها (تسعين)
فيكون التاريخ (٩٧٠)، ويدل على هذا ما جاء في آخر الكتاب الموجود في مكتبة
(لیدن)، والذي ظنه بعض الباحثين نسخة من كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» وسيأتي
وصفه، ونصه : (وقد وقفت على المجلد الأول فقط من هذا الكتاب المذكور أولاً ، وهو
مجلد ضخيم وصل فيه إلى سنة سبعين وتسع مئة، وقد حذفت ما رأيت من أول الكتاب
إلى سنة سبع عشرة وتسع مئة، إلا القدر الذي رأيت، ثم منها إلى آخر المجلد المذكور،
أذكر ... سيرة بحسب ما دعت الحاجة إليها).

ولعله اطلع على أصل المخطوطتين المذكورتين.

وأما ما ورد في آخر مخطوطة (فاس) سنة (تسعة وسبعين وتسع مئة) فأرى أن (تسعة) تصحيف (سنة) وعلى هذا يكون التاريخ (٩٧٦).

ولايرد على هذا القول بأن ذكر الحوادث في أوفى نسخة وصلت إلينا - وهي المغربية - ينتهي سنة ٩٧٢ فكيف يترك أربع سنوات لم يذكر أحداثها ، إذ كثيراً ما يضعف المؤلف أو ينصرف عن إكمال ما شرع في تأليفه ، والجزيري في سنة ٩٧٦ - قد بلغ الخامسة والستين من العمر ، وقطب الدين المكي يصفه في هذه السنة التي جرى عليه فيها من أمير الحج ما جرى - كما تقدم - يصفه بضعف البدن والترُّفُّه.

وبفهم مما ذكر القطبي أن الجزيري عاش إلى ما بعد حج سنة ٩٧٦ - وهو يعبر عنه بكلمة (المرحوم) في كتابه «البرق البماني» الذي ألفه في حدود سنة ٩٨٢ - مما يدل على أنه توفي قبل هذه السنة (١٢).



مؤلفاته :

١ - «الدرر الفرائد المنظمة» في أخبار الحاج ، وطريق مكة المعظمة.

وهو هذا الكتاب الذي كان شرع في تأليفه سنة ٩٦١ ، فسماه في مسودته الأولى «درر الفرائد المنظمة» فانتشر هذا الاسم في نسخ كثيرة كما تقدم ، ولكن المؤلف عاش بعد هذا الزمن ، فصار يرجع إلى أصل الكتاب بالزيادة والتنقيح والتصحيح ، فكان آخر نسخة وصلت إلينا منه من حيث تاريخ التأليف تحمل اسم «الدرر الفرائد المنظمة» . بل يظهر أن الاسم الأخير انتشر بحيث أن نسخة (مكتبة عاشر أفندي) رقم : (٦٤٨) وهي مما نسخ عن المسودة الأولى - تحمل هذا الاسم.

أما المدة التي أمضاها في جمع هذا الكتاب ، وإلى أي سنة انتهى في تأليفه ، فما لا يمكن الجزم به ما لم توجد مخطوطة كاملة ، فالنسختان الوافيتان اللتان وصلتا إلينا تختلفان ، فبينما نجد في النسخة المغربية التي سيأتي وصفها بعد ذكر تاريخ تسويده ، وأنه

في شهر رمضان سنة ٩٦١ - ما نصه : (وكان الفراغ منه ضحى يوم الأحد الميمون الرابع لشهر رمضان المعظم من شهور سنة تسعة (٩) وسبعين وتسع مئة) تنتهي أخبار حوادثها أثناء سنة ٩٧٣ . بينما ترد إشارات في بعض التراجم إلى ما بعد هذا التاريخ .

نجد آخر نسختي (دار الكتب) و(بيل) بهذا النص : (وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين لست ليال خلت من شهر رجب الأصب سنة ٩٩٠ - أحسن الله عاقبتها).

وينتهي تسجيل الحوادث فيها إلى سنة ٩٦٧ هـ مع الإشارة إلى تواريخ بعد هذه السنة ، وإذا أضفنا ما ذكره ابن حميد في «السحب» من أنه استمر في التأليف إلى سنة ٩٧٦ ، يصبح لدينا عن انتهاء التأليف أقوال :

١ - سنة ٩٦١ - وهذا تاريخ تسويد الكتاب ، كما نص على ذلك المؤلف في كثير من النسخ.

٢ - سنة ٩٦٧ - على ما في مخطوطتي دار الكتب وبيل - في تدوين حوادث السنوات مرتبة .

٣ - سنة ٩٧٠ - على ما ورد في مختصر الكتاب للطبيب مدين ، الذي ظن بروكلمان أنه نسخة كاملة من نسخ الكتاب وسيأتي وصفه .

٤ - سنة ٩٧٢ - على ما دون من الحوادث في أوفى النسخ التي وصلت إلينا ، وهي النسخة المغربية .

٥ - سنة ٩٧٦ - على ما ذكر ابن حميد في «السحب الوايلة» .

وأمام هذه التواريخ المتباعدة أرى أن أقربها إلى الصواب لتحديد انتهاء تأليف الكتاب سنة ٩٧٦ .

وهذا الكتاب هو أنفس مؤلفات الجزيري .

والمؤلف في هذا الكتاب رجع إلى مؤلفات معروفة كتاريخ مكة للأزرقي ، وكتاب «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» ، وكتاب «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» ثم ذيله «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى» ، وأول الكتابين لنجم الدين عمر بن محمد بن فهد ،

والثاني لابنه عبد العزيز بن عمر، وقد نقل الجزيري جُلَّ ما يتعلق بأخبار الحج من هذين الكتابين.

وذكر جبار الله بن فهد في مواضع منها - حوادث سنة ٨٢٣ - : قال العلامة ابن فهد جدُّ صاحبنا المرحوم جبار الله بن فهد في تاريخه «إتحاف الورى»، ومثل هذه العبارة وردت في الكلام على حوادث سنة ٧٨٢ .

ونجد فيما نقله المؤلف في حوادث سنة ٩٤٥ - عن جبار الله بن فهد (١٣) - نصًّا مطولاً عن سليمان باشا ووصله إلى جدة، ثم عن توجهه إلى اليمن واستيلائه على مدينة زيد، فهل لجار الله كتاب ذيل به على مؤلفي أبيه وجده ؟ هذا ما يفهم من نصين أوردهما المؤلف صريحين في ذلك فقد قال في حوادث سنة ٩٢٣ - : قال صاحبنا المرحوم الشيخ جبار الله بن فهد في ذيله على ذيل «إتحاف الورى»، بأخبار أم القرى: «وفي يوم الأحد سادس شهر الحجة، فُرِّقَتِ الدَّخِيرَةُ السلطانية، بحضرة أمير الحاج - وأورد خبراً طويلاً في الموضوع .

وقال في حوادث سنة ٩٤٥ - قال صاحبنا الشيخ جبار الله بن فهد القرشي في تاريخه الذي ذيله على ذيل والده لتاريخ جده «إتحاف الورى»: «واتفق في صبح الثلاثاء رابع عشرين الحجة عام خمسة وأربعين واقعة لأمير الشامي شنيعة، مع صاحب مكة السيد أبي نُعمي الحسني، وملخص ذلك - ثم أورد خبر الحادثة.

ومن نقل عنه المؤلف في هذا الكتاب من علماء مكة، ممن لم تصل إلينا مؤلفاتهم الشيخ محمد بن عبد الغني الشلح، وهذا لا أعرف عنه إلا ما ذكر ابن فهد في «بلوغ القرى» من أنه ولد سنة ٨٨٦. وذكر الجزيري أنه اطلع على قطعة من تاريخه بعد وفاته، ذكر ذلك في حوادث سنة ٩٦١ .

ونقل عن رسائل بعث إليه قطب الدين النهروالي مؤرخ مكة في إيضاح بعض حوادثها وغيره من العلماء، ولكن أخبار حوادث عصره استقاها من أناس عاصروهم، من كبار موظفي الدولة في عهده، كالولاء وأمراء الحج والقضاة وغيرهم، فقد كان ذا

صلة قوية بأولئك ، كما أوضح هذا في مواضع كثيرة من كتابه .

وأعيد القول بأن هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ مصر منذ أول عهد الدولة التركية في آخر الربع الأول من القرن العاشر إلى نهاية الربع الثالث من ذلك القرن ، ففيه تفصيل وافٍ - قد لا يوجد في غيره من المؤلفات التي وصلت إلينا - عن سوء الإدارة التركية ، وما أحدثت في هذه البلاد من المظالم بإطلاقها أيدي الولاة بالعبث في جميع أحوالها ، ولاسيما الاقتصادية كشؤون الزراعة والتلاعب بأسعار أقوات الشعب وحاجاته الضرورية وإهمال أموره للعبث والفوضى من قبل الظلمة والمفسدين .

ولقد كان المؤلف حين يتحدث عن أولئك الولاة ومنهم القضاة والكشاف وشيوخ العربان - على جانب قوي من الصراحة .

وليس من المستبعد أن يكون من أسباب عدم انتشار هذا الكتاب ، وعدم شهرة مؤلفه ، ما فيه من نقد شديد لأولئك الولاة ، ووصف جوانب من أفعالهم ، وتعرضه للكلام في العلماء من القضاة وغيرهم ووصفهم بالجهل ، فؤلفه يتحدث عن أناس عرفهم حق المعرفة ، وعاشهم واختلط بهم في جميع أحوالهم ، وخاصة ذوو الحل والعقد منهم ، كالولاة والقضاة ، ممن تبلغ درجة صلته بهم إلى مشاركتهم في أمورهم الخاصة ، كما حدث له مع الأمير جانم الحمزاوي المتوفي سنة ٩٥٤ الذي كان التبسط بين الرجلين يصل إلى المشاركة في (لعب الشطرنج) .

وقد جرى بينه وبين خسرو باشا أمير الحج سنة ٩٤٢ من الخلاف ، ما سود به صحيفة هذا الأمير ، وأنشأ في ذلك (مقامة) أورد خلاصتها .

مختصر الكتاب :

ذكر بروكلمان بأن في مكتبة (ليدن) نسخة من هذا الكتاب ذكر رقمها ، فأُتِصِلت بالأخ الدكتور قاسم السامرائي - وهو يعمل في جامعة ليدن - للحصول على صورة تلك النسخة ، فكرم بالكتابة إليّ بتاريخ ٢٤ جادى الثانية سنة ١٤٠٢ بما نصه : (أُرْسِلُ

إليك صورة للمخطوطة التي طلبتها ، وآمل أن تكون بغيتك . والظاهر أنها ملتقط النقطه محمد بن مدين رئيس الأطباء بمصر . وهذه المخطوطة تقع في آخر مجموعة كلها بخط محمد بن مدين ، بيد أن تواريتها مختلفة ، وأول هذه المجموعة ملتقط من كتاب « النور السافر » لابن العيدير وس مؤرخ في سنة ١٠٠٢ هـ ، وبعد هذا يأتي كتاب « الروح الباصر على بعض وفيات القرن العاشر » ويبدأ في ورقة ٢٥ أ - وينتهي في ورقة ٢١٦ أ - ، ويبدأ بوفاة السلطان قايتباي ، في سنة ٩٠١ هـ ، وأنه بوفاة الشيخ نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد بن عمر الحلبي الشافعي المتوفي سنة ١٠٤٤ هـ وهو غير مؤرخ . ثم القسم الثالث وهو اختصار لكتاب الجزيري وهو مؤرخ في سنة ١٠٣٨ هـ . وهذا الملخص مبدؤ - بعد البسملة والحمدلة والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه بما نصه : (أما بعد فهذا ما التقطته من تاريخ الشيخ - ثم الأوصاف المعتادة والاسم المعروف عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي - الذي سماه بـ « الدر الفرائد المنظمة ، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » قال في أوله بعد الخطبة : (ولما توات آلاء الله علينا) إلى آخر عناوين أبواب الكتاب وفصوله . ثم أورد ما ذكر الجزيري في الفصل الثالث من الباب الثاني : (فأخذت العلم عن جماعات أجلاء - إلى خبر وفاة أبيه في ذي القعدة سنة ٩٤٤) .

ونقل خبر ولادة المؤلف سنة ٩١١ وولادة أبي نُمي - بنص ما ورد في الكتاب ، وألحق بالهامش : (قلت : وقد وقفت على المجلد الأول فقط من هذا الكتاب المذكور أولاً ، وهو مجلد ضخيم ، وصل فيه إلى سنة سبعين وتسع مئة ، وقد حذفتُ بعض ما رأيته من أول الكتاب إلى سنة سبع عشرة وتسع مئة إلا القدر الذي رأيته ، ثم منها إلى آخر المجلد المذكور ، أذكر (كلمة واضحة) يسيرة ، بحسب ما دعت الحاجة إليها ومن أراد الكتاب المذكور فعليه به والسلام) .

ومما نقل عن سنة ست وستين وتسع مئة : (وأما أحوال القاهرة في هذه فعلى غاية التلاشي) إلى جملة (إنا لله وإنا إليه راجعون) التي هي آخر مخطوطي دار الكتب المصرية وجامعة ييل .

ثم عاد وذكر من حوادث ٩٦٥ - منع إسكندر باشا المتعممين بها من ركوب الخيل ، والتزيي بزى العسكر ، ثم قال : - مما ليس موجوداً في النسختين ، ولكنه في المغربية - : (سنة ثمان وستين وتسع مئة : درس فيها بالجامع الأزهر الشيخ أبو النصر ، ولد العلامة ناصر الدين الطبلاوي وأحمد بن شهاب الدين بن عبد الحق السناطي ، وفيها في غرة شعبان ورد حكم سلطاني يتضمن منع المنكرات والمسكرات ، ومنع استعمال القهوة ، والتجاهر بشرها وهدم كوانينها ، وكسر أوانها ، وزدع باعها وركب لذلك (صوباشا) وبعض الأكابر ومعها طائفة من العسكر بسبب ما ذكر ، والتجسس على من عنده من القهوة أدنى بضاعة فكانت المبالغة في منع القهوة التي أحلها الشارع ، إذ هي داخلة في عموم قوله تعالى :

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً ، أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزِيرٍ﴾ (١٤) الآية . فتقرر بذلك أن أصل كل مطعوم من نبات وغيره الحلال إلا ما استثناه الشارع بالنص ، أو أدنى إلى ضرر في بدن أو) وهنا ينقطع الكلام فالورقة التي بعد هذه لا صلة لها بما قبلها فأولها : (ومنهم شافعي زمانه ، ووحيد وقته وأوانه ، صدر المدرسين ، ومفتي المسلمين ، محمد شمس الدين بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري كان مولده سنة تسع عشرة وتسع مئة ، كما كتب لنا ذلك بخطه . وكانت وفاته بمصر سنة أربع بعد الألف). وهذا الكلام بعد عصر الجزيري ، وبعد ثلاث صفحات ينتهي هذا الكتاب . وفي آخره : (وقد تشرفنا في أول كتابنا هذا بذكر جماعة من العلماء المتقدمين ، وفي آخره بذكر جماعة من المتأخرين ، وفي بعض أماكن منه بتفسير بعض آيات كريمة قرآنية ، وأحاديث شريفة نبوية ، وبعض أحكام فقهية ، حتى لا يكون خالياً من الأحكام الشرعية) إلى : (قاله بفمه وزبره بقلمه ... مدين بن عبد الرحمن الطبيب خادم الضعفاء بدار الشفاء بمصر). ثم تاريخ الكتابة ربيع الثاني سنة ١٠٣٨ هـ .

ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة جامعة ييل ، هي التي ذكرها بروكلمان ، وهذا المختصر لا يعدو أن يكون تلخيصاً موجزاً لبعض ما في كتاب الجزيري من تراجم علماء

القرن العاشر إلى سنة ٩٦٨ في ورقات معدودة ، مع إضافة تراجم يسيرة من غير هذا الكتاب .

ومخطوطة ليدن هي مسودة المؤلف لكتاب أشمل مما في نسخة جامعة بيل ، التي يظهر أنها منسوخة عنها في زمن متأخر غير مؤرخ . وتقع في ٢٥ صفحة . أكرماني الدكتور عبد العزيز المانع ، بصورتها .

٢ - «منازه المنازل ، ومناهج المناهل» وصفه صاحب كتاب «إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون» بأنه كتاب كبير^(١٥) ، ولعله ألفه بعد كتاب «الدرر الفرائد» فهو لم بشر إليه في هذا الكتاب .

٣ - «خلاصة الذهب في فضل العرب» .

ذكره ابن حُمَيْد في «السحب الوابلة» وذكره من جاء بعده ممن ترجم الجزيري . لقد عاصر الجزيري عهد إنشاء الدولة التركية ، واستيلاءها على بلاد العرب ، وخالط كثيراً من قادتها ورجلها في ذلك العهد ، ولا شك أنه عرف من عجرفة أخلاقهم وترفعهم على غيرهم ما دعاه لتأليف هذا الكتاب لبيان فضل العرب وعُلُو منزلتهم ، ولعله ألفه بعد أن جرى عليه من أمير الحاج أحمد كوجك ما جرى .

٤ - «عمدة الصفوة في حل القهوة» .

لن نتضح لنا قيمة هذا الكتاب إلا بمعرفة ما حدث من الاختلاف بين العلماء حول القهوة ، عند بدء استعمالها في القرن العاشر الهجري ، وهو اختلاف اشتد حتى كان مثاراً لكثير من الفتن في مكة ، وفي غيرها من المدن الإسلامية ، حتى قام بعض الأمراء بهدم الأمكنة التي كان الناس يجتمعون فيها لشرب القهوة ، وبتكسير أواني الشرب ، وبإتلاف حبوب البن ، وبمعاقبة من تعاطى شرب القهوة ، فكان هذا الأمر مما شغل الناس في ذاك العهد ، شغلاً حمل كثيراً من العلماء إلى التأليف فيه ، ومن أمتع تلك المؤلفات كتاب صاحبنا الجزيري هذا ، ألفه سنة ٩٦٦ وتقع المخطوطة التي اطلعت عليها في نحو ١٧٠

صفحة صغيرة، وقد كتبت في ١٦ رمضان سنة ١٠٧٩ هـ، والكتاب ملخص من مؤلف لأحمد بن عبد الغفار المالكي - نزيل طيبة - مع زيادات عليه، يقع في سبعة أبواب، الأول: في معنى القهوة وصفتها، ومن أي بلدة كان انتشارها، الثاني: في سياق المحضر الذي كتب في شأنها، بمكة، وشرح المرسوم الوارد جواباً، وذكر فتاوى العلماء بالحل والحرمه. الثالث: في إبطال دعوى الإنكار لها، وأنها من الشراب الطهور. الرابع: في إبطال القول بحرمتها. الخامس: موجب الحرمة لا في ذاتها، بل من تعاطيها بالأوصاف الخارجة عنها. السادس: في نكت متفرقة، وفوائد تتعلق بها. السابع: في بعض ما روي من النظم لبعض أعيان العلماء في حلها، وفي هذا الباب قصيدة من نظم المؤلف لعل في إيراد مطلعها ما يغني عن الكلام عن منزلته في هذا الفن:

أَصَوْءُ أَنْسَ بَدَا يَهْدِي لِذِي كَرَمٍ أَمْ نَارُ قَهْوَةٍ قَسِرَ فِي دُجَا الظُّلَمِ؟ (١٦)

في ٤٣ بيتاً أوردتها في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» وذكر هذا الكتاب، وأشار في ذكر حوادث سنة ٩٦٨- إلى طرف مما جرى من الحوادث حول القهوة في القاهرة. ومن هذا الكتاب نسخة في (مكتبة البلدية) في الإسكندرية مخطوطة سنة ٩٧٨ هـ رقعها: (ن ١١٢٨ ب).

٥ - «الزجر عن الخمر».

٦ - «دفع المضرة، عن الهر والهرة».

٧ - مجموع أشعار ومراسلات، وأجوبة واستدعاءات وإجازات، وفوائد طريفة. كل هذه الكتب قال عنها ابن حُمَيْدٍ: (رأيت هذه التأليف بخط يده، وهو خَطٌّ حَسَنٌ مضبوط).

وما دام ابن حُمَيْدٍ قد رآها، فليس من المستبعد أن تكون الآن موجودة، إذ لم يمض على عهد ابن حُمَيْدٍ طويلُ زَمَنٍ، وقد رأيتُ - في أول عشر السنين من القرن الماضي - قسمًا من كتب ابن حُمَيْدٍ في حجرة من حجر مدرسة محمد باشا - المعروفة

برباط الحنابلة - بقرب باب الزيادة أحد أبواب الحرم المكي ، وقد أدخلت فيه حين وسع منذ سنين ، ومن تلك الكتب مخطوطات ، وكان يسكن في تلك الحجرة الشيخ سليمان الشبل - رحمه الله - ، وقد تكون لدى آل بسام في عنيزة^(١٧) ، أو عند غيرهم من أقارب الشيخ ابن حميد .

نسخ الكتاب :

النسخ الأولى المختصرة :

انتشر الكتاب في عصر المؤلف عن مُسَوِّدَتِهِ التي كتبها في رمضان سنة ٩٦١ - في الأزهر بمصر، وفي مكتبة عارف حكمة في المدينة ، وفي الهند في مكتبة رضا رامبور - وفي اصطنبول في مكتبة عاشر أفندي في السلطانية ، وفي أيرلندا في مكتبة جستريني :

١ - ولعل أقدم هذه النسخ نسخة مكتبة عاشر أفندي ورقها (٦٤٨) وقد كتب في طرحتها : (هذه النسخة نقلت من المسودة قبل تحريرها وترتيبها ... كتبه مؤلفه) ولكن عابثاً غير كلمة (قبل) فكتب مكانها (بعد) ، ولها ميزتان : إحداهما أنها تحمل الاسم الأخير للكتاب : «الدرر الفرائد المنظمة» والأخرى أن في طرحتها شعراً للجزيري وللقطبي عن الصلة بينهما - وقد اطلعت عليها ووصفتها في رحلتي - ص ١٧٢ - ولم يتسنَّ لي الحصول على صورتها .

٢ - مخطوطة مكتبة الأزهر ، وقد وصفها الأستاذ محب الدين الخطيب في مقدمة مطبوعته ، واعتمدها أصلاً قارن به النسخة الحديثة التي نسخت عن مخطوطة مكتبة عارف حكمة ، وأشار إلى الاختلاف بين النسختين في كلمات يسيرة يظهر أنها من أثر النساخ ، وكنت ظننت أنها مسودة المؤلف لولا كثرة ما فيها من الأخطاء .

٣ - نسخة مكتبة عارف حكمة - ورقها في المكتبة (٣٢٧ تاريخ) وتقع في (٢٩٠) ورقة ، وكتابتها بالقلم النسخي ، وكثير من الكلمات حروفها مهملة وأسمائها محرفة ، والعبارات مضطربة مع أنه ورد في آخرها ما نصه : (وكان الفراغ من كتابة هذا المؤلف

في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان الذي هو من شهور سنة ١٠٩١ على يد أفقر العباد وأضعفهم إلى عفو ربه الباري علي بن أحمد الطملاوي) وفي هامش الصفحة الأخيرة : (بلغ مقابلة على أصله حسب الطاقة ، وما كان فيه شك فهو في الأصل ، فليراجع نسخة أخرى).

٤ - نسخة مكتبة جستريني ، وقد وصفت في فهرس المكتبة المطبوع ، ورقها (٥٢٦٩) ومع أن تاريخ كتابتها لم يذكر إلا أنها قد تكون أقدم من نسخة مكتبة عارف ، وخطها واضح .

وهذه النسخ الأربع قد اطلعت عليها . ورمزت لها في الحواشي بحرف (أ) وقد أرمز للنسخة الأزهرية بحرف (ز) وللمدنية بحرف (م) وقد أصرح باسميها .

٥ - نسخة مكتبة رضا رامبور؛ لم أطلع عليها ، ولكن الدكتور علي بن عبد الرحمن أبا حسين - مدير مركز الوثائق التاريخية في البحرين - حدثني عنها حين أكرمني بالزيارة ، في يوم الأربعاء ١٤٠٣/٤/٥ هـ فذكر أنها تقع في مجلد ، مما يدل على أنها نقلت عن المسودة .

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

النسخ الأخيرة :

يظهر أن المؤلف - بعد انتشار النسخة الأولى من كتابه - استمر في زيادة مادة الكتاب في السنوات الواقعة بين ٩٦١ و٩٧٤ - في فترات متفاوتة ، يُستسخَرُ الكتاب خلالها نسخًا مختلفة .

فالشيخ عبد الله بن حُمَيد صاحب «السحب الوابلة» يقول : (إنه ذكر في كتابه هذا إلى سنة ٩٧٦) وهو يقول هذا عن نسخة اطلع عليها واستقى منها ترجمة المؤلف . ونسخنا دار الكتب المصرية ومكتبة جامعة ييل يقف تسجيل الحوادث فيها إلى سنة ٩٦٧ .

ونسخة خزانة جامعة القرويين تمتد تسجيل الحوادث فيها إلى سنة ٩٧٢ - ويرد ذكر سنة ٩٧٤ - عرضاً - كما سبق إيضاح هذا .

وقد يكون من النسخ ما امتد التسجيل فيه إلى ما بعد سنة ٩٧٣ - إذا صح تاريخ مخطوطي دار الكتب وييل - وأن المؤلف عاش إلى ذلك التاريخ ، وإذَنْ فلنستفد مما بين أيدينا حتى نجد ما هو أوفى منه ، ولهذا قُمتُ بنشر هذا الكتاب متخذاً من المخطوطة المغربية أصلاً من حيث المادة التي لا توجد في غيرها ، مع الرجوع إلى النسختين الآخرين ، والاستعانة بالنسخ الأولى فيما لا تتفق عليه النسخ كلها .

١ - نسخة دار الكتب المصرية :

في دار الكتب المصرية نسخة تقع في مجلدين :

المجلد الأول رقمه (٣٧) تاريخ - م ، وأوله بعد البسملة : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُتَوَجُّ بِذِكْرِهِ رُؤُوسُ الْكُتُبِ وَالْدَفَاتِرُ ، وَيَحِقُّ أَنْ يَتَوَالَى نُشْرُهُ لِعَظِيمِ كُلِّ نَادٍ وَغَابِرٍ) .

وآخر هذا الجزء : (وكان دخول المصري إلى القاهرة على ظهر واحد من البركة إلى منزله ، بعد مقابلة الباشاه في يومه ، وهو يوم الخميس الثامن من صفر الخير سنة سبع وستين وتسع مئة .

وأما أحوال القاهرة في غاية التلاشي من كل جانب : فإكان من جانب علي باشاه أغا فلم يُر منه غير انهماكه على سفك الدماء) .

ثم ذكر مَنْ كان يتولى القضاء والتدريس بالجامع الأزهر وسماهم وقال : (وتلاعب بأمور الدين كل مُهَوَّس بليد ، وبكى على أحوال الشريعة المطهرة كل بادر معيد ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

قد تم الجزء الأول ويليهِ الجزء الثاني بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين) .

وصفحات هذا الجزء (٤٣١) صفحة ، في الصفحة (٣٥) سطرًا .

المجلد الثاني وأوله بعد البسملة : (الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، الباب الرابع فيما يشتمل عليه ديوان إمرة الحاج من أصناف المُهمِّ وما يُحتاج إليه من الأسباب وفيه فصول) .
وآخره بعد ذكر (شاهي خوبان) التي حجت سنة أربع وستين وتسع مئة :
(واستمرت مجاورة بمكة إلى أن حجت سنة خمس وستين ، وتوجهت صحبة الركب الشامي ، ويقال : إنها تصدقت بمكة على بعض الفقراء لكل شخص دينار من الذهب الجديد السلطاني .

وليكن هذا إتمام ما أردنا إيرادَه في هذا المکتوب ، والمستعان بالله تعالى فهو الميسر لكل مطلوب ومرغوب ، سائلاً مَنْ حَسَنَ خِيَمِهِ ، وسلم من داءِ الحسد أديمِهِ ، أَنْ يُسْبِلَ ذَبْلَ ستره على هذا المرقوم ، وأن يُصلَحَ ما عَسَى أَنْ يَجِدَهُ من الخطأ في المنطوق والمفهوم ، وقد قَدَّمْنَا الاعتذار عن أبناء الطبيعة ، وأنه قل أن يسلم مؤلف من خطأ أو خلط ولو كان في علوم الشريعة ، والله المسؤول والمأمول أن ينحتم لنا بالْحُسْنَى ، ويجعلنا من الفائزين بعفوه ، المغمورين برحمته ، المقربين في دارِ كرامته بالحلل الأَسَدَ الأَسْنَى ، إنه هو الجواد الكريم والرؤوف الرحيم .

وأقول : قد انقضى تسويده - ولا أقول تحريره وتبيضه - في يوم الأحد المبارك الميمون ، لست ليال خلت من شهر رمضان المعظم قدراً وحرمة ، من شهور سنة إحدى وستين وتسع مئة من الهجرة النبوية ، حامداً ومصلياً ومسلماً على أشرف المرسلين المصطفى خير البرية ، المخصوص بالشفاعة العظمى في اليوم المشهود عند اشتداد الخطب وعظم البلية ، وعلى آله واصحابه الكرام البررة المستمسكين بأوثق عُرَى الإيمان ، المأخوذ عنهم بيان شرعه الشريف في كل ملمة وقضية .

وكان جمعي له في أقات الفراغ من فكرة يقدر زنادُ هومها ، ومحنة يتوالى على الخاطر صادقُ غومها .

ومدة التأليف والاشتغال عنه بينها بون وأبعاد ، فهي في التعداد لانفي بالمراد ، ثم بعد مدة أعوام وقد منَّ الله تعالى وله الحمد بالفسحة في الأجل ، ويسرَّ ما أراد جمعه في هذا المؤلف من الأزل ، شمرت عن ساعد الاجتهاد ، ونفختُ تلك المسودة ورتبتها وزدت عليه ما به إن شاء الله تعالى حصول النفع لمن استزاد ، فجاء بحمد الله وعونه وافيًا بالمراد ، حسن الاختصار والاقتصاد ، مع أنني لم آخذ في تأليفه على مثال سبق ، ولا على نمطٍ تقدمني فيه غيري ، فأقول قد حاز فَضْلُ السبق واستحق ، وإنما جمعته حسب البديهة ، من منح العزيز الحكيم «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

وكان الفراغ من كتابته إلى آخر ما تقدم ذكره - ثم (والحمد لله وصلواته على أشرف المرسلين محمد وآله وصحبه وسلم آمين تم) وليس في النسخة من التاريخ سوى ما تقدم ، ولا شك أن تاريخ كتابتها متأخر عنه كما يتضح ذلك لمن اطلع عليها .

وقد الحق بهذا الجزء كتاب «حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج» ويقع هذا الجزء في (٤١٤) صفحة.

أما كتاب «حسن الصفا» فصفحاته عشرون صفحة .

وأخره : (وفي سنة خمسين وألف كان أمير الحاج الأمير رضوان القفاري السابق ، صاحب الرأي الفائق ، وسع الله عليه رزقه آمين .

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكان الفراغ منه يوم الأحد المبارك ٢٢ ربيع الآخر الموافق ٢٨ مسري على يد كاتبه راجي عفو ربه الرباني عبد الله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

كذا ذكر تاريخ الشهر وأهمل السنة .

وهذا الجزء يتفق مع الجزء الأول في شكل الكتابة وقياس الصفحات وعدد السطور ، ولا شك أن كاتب الجزءين واحد .

[illegible][illegible]

ويظهر أنها كانا مفرقين لأن الجزء الأخير في المكتبة التيمورية ، وفي أوله ورقة تحوي
فهارس فصوله ، وهي بخط العلامة أحمد تيمور باشا - رحمه الله - .

ومن عيوب هذه النسخة أن عناوينها كتبت بمداد أحمر ، ولهذا لم تبد في التصوير .
وليس في هوامشها ما يشير إلى تصحيح ما فيها من كلمات غامضة أو محرفة أو مهملة
من الإعجام ، بل إيضاح كلمات قليلة من الناحية اللغوية واسم كاتبها (حسن سري)
انظر : (ص ١٧٩ من المطبوعة) وفي مواضع من النسخة بياض أشير في هامشه إلى أنه
مطابق للأصل .

وسأشير لهذه النسخة في الحواشي بحرفي (مص).

٢ - نسخة مكتبة جامعة ييل (YALE) :

في مكتبة جامعة ييل في الولايات المتحدة الأمريكية نسخة من هذا الكتاب يبدو
من جهال خطها وما في هوامشها من إشارات أن عالمًا طالعها وقابلها على نسخة
أخرى ، وأنها جيدة ، ففي هامش الورقة الـ (٢٤) عن كلمة (الديار) : (خ الأقطار) ،
وفي هامش (١٣١) (على أحسن قانون) : لعله اتم) و(٢٥٤) : (قرية كبيرة) : (لعلها
مدينة) و(٢٩٥) : (مات أحمد ... وعاد) : (لعله : وحمل) ، ولكن اتضح أنها كثيرة
التحريف والأخطاء ، مما يدل على أن ناسخها أعجمي ، فهو يكتب الصلات (الصلاة)
وأسنة (السنة) واقالة (أقالت) وبالوفود (بالعون) ومهمات (ولامات) ، كل هذه في
الصفحة الأولى - هكذا .

وما كنت أعرف هذه النسخة لولا ما ذكر بروكلمان في كتابه عن وجود مختصر لكتاب
«الدرر» في هذه المكتبة ، فكتبت إلى ابنتي هند ، وكانت في الولايات المتحدة الأمريكية
لتسعى للحصول على صورة ذلك المختصر ، ولكنها حين زارت المكتبة وجدت نسخة من
الكتاب كاملة ، وأخرى من المختصر فأحضرت لي صورتين منها .

تقع تلك النسخة في ثلاثة أجزاء ، مكتوبة بخط النسخ الجميل والعناوين بالثلث ،
وفي الهوامش عناوين أبرز الحوادث والأخبار مكتوبة بقلم الثلث وأحياناً بالفارسي ، وما

سقط سهواً من الناسخ من كلمات أو جمل استدركه في الهامش، وما كان يابضاً في الأصل الذي نقل عنه أشار إليه بجملة : (هكذا يابض في الأصل).

وأوراق النسخة وصفحاتها ليست مرقفة ، وإنما الترقيم للكراريس - كل عشر ورقات كراس ، سوى الكراس الأول فثان ورقات، نزع منه ورقتان - فما يظهر - ، وكتب في الطرف الأعلى من أول كل كراس رقمه مثل (ك ١٠).

وفي هامش الورقة (٢٢) من الجزء الأول حاشية هذا نصها : (أما تسهيل طريق عقبة أيلة فلم يتقظم توسيعها على الحجاج كأنه طريق أسهل مسلك إلا بعد ما أجراه المرحوم عباس باشا والي مصر سنة ١٢٦٧ وله الأجر، توفي رحمه الله سنة ١٢٧٠). وهذه الحاشية ونجاشية أخرى في الورقة الـ (٥٥) من الجزء الثالث مؤرخة في سنة (١٢٠٧) تدلّان على أن النسخة كانت في مصر في ذلك التاريخ. وطرة النسخة التي يكتب فيها العنوان أعادة، وأسماء من ملكوا الكتاب مفقودة، ومحملها ورقة مكتوب فيها باللغة الإنجليزية اسم المؤلف، ثم اسم الكتاب «الدرر الفرائد المنظمة»، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة»، وأن النسخة تقع في ثلاثة مجلدات. (مقاس ٢٠,٥ × ٣٠,٥ سم)، وأنها من مخطوطات القرن التاسع عشر مع الإشارة إلى كتاب «حسن الصفا والإيتاج» وفي هامش هذا الكلام LANDBERG 538 وفيه أيضاً إشارة إلى كتاب بروكلمان ج ٢ ص ٤٤٧.

وأول هذا الجزء بعد البسملة : (وبه ثقني وعليه توكلني ورجائي. إن أول ما يتوج بذكره رؤوس الكتب والدفاتر).

وأخره : - في ذكر حوادث سنة ٩٠٠ : (وكان أمير الشامي بكتباي ، وكان توجه أمير الركب الأول في ثاني عشر ذي الحجة ، وتبعه أمير المصري ، وكان توجه أمير الشامي في سابع عشر ذي الحجة. تم الجزء الأول من كتاب «درر الفرائد المنظمة»، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ويليه الجزء الثاني أوله القرن العاشر سنة إحدى وتسعمائة سنة ٩٠١ هـ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَفَعِي
 وَعَلَيْهِ يُؤَكَّلُ وَرِثَانِي
 إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْجُو بِهِ ذِكْرُ رُؤْسِ الْكَذِبِ وَالْتِقَاتِ
 أَنْ يَنْوَالِي شَرَّهُ لَتَعْبُدَ كُلَّ نَادٍ وَغَايِرِ الْوَحْلِ لِيَذْ بَطْرَسْ
 ذِكْرُ لَسَانِ كُلِّ بَادٍ وَمَا شَرَّ جَمَلٍ مَجْلُومٍ كَيْفَ الْكَيْفَةِ الْبَيْتِ
 الْحَرَامِ بِمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامِ وَالْمَدِينَةُ الْفَلَا تَدِ
 النَّمْعُ عَلَى مَنْ أَهْلُهُ الْوُفُودُ الْحَرَامِ مِنْ بَحْثِ الْعَصَاةِ
 وَجَمِيلِ الْعَوَاقِدِ الْفَيْضُ عَلَى مَنْ اشْتَرَفَ تَحْسُدَايَتِهِ
 بِالْفَيْضِ لِحُلِّ الْوَقَا وَجَزِيلِ الْعَطَا الْمَاخِزِ مَنْ سَقَى وَقَتْلِ
 الْخَطْلِيِّ فَنَالِ الْخَلِّ الْخَطْلِيَّ مَحْضًا حَمْدًا يَجْلُو مَكْرَهُ
 عَلَى الصَّنَةِ الْأَعْمَرِ وَالسَّنَةِ الْهَوَا وَجَوْعِ سَدَّ عَطَرِهِ
 بَيْنَ الرِّقْنِ وَالْمَقَامِ عَلَى أَوَادِ الشُّهُبِ وَمَقْصِدِ الْإِحْوَامِ
 وَتَجَلَّى هَرَقُهُ وَوَدَّ رُحُولَهُ حُضْرَ بِلْدَةِ الْهَيْبَةِ الْأَمْرِ بَرِّقِ
 بِهَيْبَةِ الْهَيْبَةِ الْأَشْرَفِ فِي بِلْدَانِ الْخَلْقِ مَسَاكِينِ الْفَقْرِ
 فَتَرَى مَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ وَمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ وَالْمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ

على من سطعت انوار نبوته بالبراهين القاطعة محمد
 اشرف المرسلين المحض من الشفاعة العظمى اذا وقعت
 الواقعة وعلى النواصب الذين اعتكفوا على انهم جبار
 الوحيد بانفسهم ما نفوسهم مع المنافع والمشاغرة وقت
 نسف ان القبول بآثار المعاهد والمناظر وعمل الصلوات بنكر
 طويلا وجابر فخر كبر ربح الاستوائ سوا كن المثلط
 ويصل فان الصلوات بالثمن من اداء واجب شكرها
 وفي التزييل الجليل الامر بذكرها ونشرها واذا كانت
 المنح الإلهية فحين موافقها على العباد من الانحصار فلا
 يلزم ان يحق لها بالاحسان من شأ من عباده بالانواع
 من الواجب ويدخر ولما اولئك الكرامة الله علينا بالعود
 الى حرمه الامين وثابتت مرابذهم ومنته بالورود
 الى حرمه اشرف المرسلين واعلن حادى اشرفنا الى
 تلك المحض ان يحيى على الفلاح فليكننا ولهم لسان
 حالنا ومقالنا بالحمد والثناء والثناء والثناء والثناء
 ما أشكركنا وأرزقنا تلك العناية بحقوقه بالوالدمة
 حياتهم من اذنة تترى مؤيد برعاية الله تعالى له اعواما
 وسنين ودهرا وكنت بكنهه بر الله مصنعه المشاغل
 في الشاغل والمأمور من السلطنة الشريفة بالنظر
 في مهمات امر الحاج على نوال التبيين والاعمال وتكن
 منجبه الله سلوكه لك الطريق ولا مانع الجحيم وعوانه
 الغرمان ويحرم ولداها وفصل قضايها بعبود الله كما
 اشارت بذكره المشاغل والكيان مؤاصل السهمى الى

الورقة الأولى من مخطوطة (جامعة بيل)

الفراء وثي فوقت الركب بالجمعه واكتنف القواصة الحاج
 فحساه الله منهم وسلم جميع من فيه ثم ان العرب
 المذكورين خرجوا على الركب الشامي ايضاً فاحذوه باجمعه
 في محل يقال له الحسا ولم يقتل احد من الحجاج وانما قبضوا
 على بعض تجاره ومنهم الخولجة على الفاري وابن الزره لوفاء الخو
 ابراهيم بن الزمن وابن الخولجة عمر النيرلي فاستري كل واحد
 منهم نفسه من الغري بالف دينار ومائت كثير من بالطرقان
 من الجوع والغري ولم يصل منهم الى الشام الا القليل ويقال
 ان امير الحاج الشامي استجار ببعض العرب فسلم سنة ثمان
 كان امير المحمل في هذه السنة تنبك الجمالي امير مجلس واحد
 المتقدمين وامير اول الامير كرتاي الاسرفي من عماليك
 الاسرفي قايتباي واحد المتقدمين وفي هذه السنة خرج القا
 يد الدين بن من هرو وصحبة اخوه وعياله وكان امير الشا
 بكيتاي وكان توجه امير الركب الاول في ثاني عشر ذي الحجة
 وتبعه امير المضري وكان توجه امير الشامي في سابع عشر
 ذي الحجة ثم انجز في الاول من كتاب
 دبر الفرائد المنتظمة في انساب الحاج وطوف
 مكة المعظمة وملكة الجزر
 الثاني اولى الفترات الثلاثة
 سنة احدى وتسعمائة
 ٩٠١
 ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل العاشر

سنة الحدى وسبع مائة كان امير الاول برديك
الاشرفى و امير المحمل جاني بك فراميراس نوبة كبير وفيه
عليه من عتبة ايله وقد وجه في الشهم مع اصطفي
اللافاه و جهز الى القصر التكدى وكانت وفاة
الاشرف فابنباى في يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة
الحرام سنة احدى وست مائة و فوجئت السلطنة
المشرقية الى ولده الناصر ابى المستعدين فابنباى
قبل وفاته بيوم مائة اثنين و تسع مائة كان
امير الاول مصرى شاد المشراى خانام و امير المحمل كيتاي
من نمراس قريب المقام الشريف و اتفق في تلك
السنة ان يجيى بن سيع امير الدينى حضرا الى ابواب
الشريعة و سعى في امرة الدينى لانها كانت مع والده
فلو يجب الى ذلك لان الاشرف قاينباى اضاف الامير
لمكة المشرقية فوجه حقا الى بلاده و مر على عجم و د

فدبح الاثوار الذين بالسوق جميعهم و ادى بعضهم
في النفاق فساى الله تعالى فاقلة تحضرت الى المنهل
فولت هذه البهايم مذبحه ففعا و فاعلى اشرافهم لللد
و لم يحصل للحجاج في تلك السنة اذى ضرر مستكر
ابن حسن بن محمد بن امير مكة وكان داي قبل موته
بائى عشر يوما ان باب الكعبة هدم فاوله لنفسه
موت فطلب ولده بركات و اوصاه و اعنى ما كان له
غرض في عتقه و قسم ما له بين اولاده و قبض روحه الله
فقال في آخر المدة المذكورة و كان امير المحمل تلك الحالى
امير سلاح و امير الاول طومانباى الدوادا الثانى
و قولى بجيى بن سيع امير الدينى و ايع جادى الاخرة
من السنة المذكورة بعد ان اشتاف السلطان قاينباى
هذه الوظيفة لأمير مكة و كان الرخا في هذه السنة
والامن للحجاج و ابدا سنة اربع و تسع مائة كان
امير المحمل فرماس بن داي الدى بن سراس نوبة كبير و امير
الاول لوبك المكمل فرعل و استقر عهده الناصرى
محمد بن خاص بك و وقع عهده فطنة بين الشريف و كان
واخيه هزل بن محمد شريك و ادخل هزل من الحجاز
و صحت اخوه عبد القادر الحادى و جماعته قبل نحو
خمسة مائة و س و نزلوا الدينى و كاتبو السلطان في امرة مكة
بماية الف دينار و كانت الدوايق بينهم بركات و معهم
فهرامر السلطان بتعيين البدري بن مرزوق كاتب القصر

وفاته الشريف
ابن بركات

ولاية بجيى بن سيع
امير الدينى

أول الجزء الثاني من مخطوطة (جامعة بيل)

بسم الله الرحمن الرحيم
 الباب الثاني في ذكر الله تعالى والثناء له
 وفيه فصل
 الفصل الأول

[illegible][illegible]

أول الجزء الثالث من مخطوطة (جامعة ييل)

هذا المرقع وان سئل عما هو من يد من الكتاب والمنطق والعلوم فقد
 قدسنا الاخرة ارفعنا الى العبيدة والله تعالى اعلم من خطا ونخطا
 من في علوم العربية والله للسرور والملاحة ان ينتم لنا بالحق ومجملنا من
 من القارئين يصنع المصنفين بوجه القارئين في دارك انت يا مولانا احمد
 الاثنى انه من المزايا الكريمة والوفاء الويم **واقول قد انقضى يوم**
 ولا اقول غيرة وتبينه في يوم الاخذ المبادك المبرن لت ليلا خلعت من
 شهر رمضان العظم قدرا وسعة من شهر سنة احدى وسين وتسابعة طهر
 النبوة حامدا ومصليا وسليما على شرف المسلمين المسلمين خير البرية المصطفى
 بالمتابعة العظمى في اليوم المبرور عند استندة الحنف وعلم الجدية وعلى
 باله واصحابه الكرام البررة المستكين باؤن اعرها اجماعا للاخوة منهم
 بيان شرعه الشريف في كل سنة وقضية وكان جملة فاكنت الفراع
 من مكة مدح زائد مجزها وصحة يترالى على القامحاصح فومها ومنه
 المتألف والاشتمال منه فيها بون واجاء فحق المداد لا تفي بالمراد
 ثم بعد ذلك ايلم وقد من الله تعالى وله الحمد بالمنية فالاجل وليس
 يا ارحمهم في هذا الشأن من الازل **فصليت** من ساعد الالتباد فقلت
 بح المسودة وزيتها وزدت عليها ما به ان ساء الله تعالى جعل المصنفين
 استزاد في **الحمد لله** وعونه وايضا بالمراد حسن الاختصار والاختصار
 مع ان لم اخذ في تأليفه على ما سبق ولا على خط مقدم فيه فبذلك
 فاقول قد عاز فضل المسوق والسوق **وانما وجهه** حسب المذهب
 من مع المذهب الكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وكان الفراع من كتابته في يوم الاثنين المبارك است ليلا خلعت من
 شهر رجب الحرام الاصب **شكرا** لحن الله ما فيها قابليها واليه سطر
 باخر اميد الالنية لتشيخ شيئا في الادب هو المعلومه الاصل خالد
 الله

الانتم وطلبه بياها والمشيء في يوم الاثنين
 فنسب الفتح **وقد اجابنا**
 ما ذميج به الفاضل على كفة
 بكنهات بالادب
 ولقدعه وصحة
 على شرف
 محمد
 على

الورقة الأخيرة من الجزء الثالث من مخطوطة (جامعة بيل)
 وبعدها كتاب «حسن الصفا والابتهاج»
 والنسخة غير مؤرخة

ويقع هذا الجزء في (٣٢٣) ورقة (٦٢٥ صفحة) الورقة الأخيرة فيها صفحة واحدة، في الصفحة ثلاثة وعشرون سطرًا.

الجزء الثاني أوله بعد البسملة : (وبه ثقني : القرن العاشر : سنة إحدى وتسعمائة : كان أمير الأول برد بك الأشرفي ، وأمير المحمل جاني بك قرا أمير رأس نوبة كبير، وقبض عليه من عقبة أيلة وقُيدَ، وجُهِّزَ في الترسيم مع اسطمر باش الملاقاة، وجُهِزَ إلى الثغر الإسكندري).

وآخر الجزء من فصل عنوانه : ذكر المياه بدرب الظهر ويعرف بدرب حِسْمًا : (ومن حِسْمًا إلى رَمِّ طريقان إلى غزة المحروسة والي مصر، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب).

ثم الجزء الثاني من كتاب «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ويليه الجزء الثالث أوله الباب السادس في ذكر المدينة الشريفة وأسمائها تم .

يقع هذا الجزء في (٣٠٩) ورقات، وهو من حيث الكتابة يشابه الجزء الأول بل الأجزاء الثلاثة يظهر أن كاتبها واحد، فليس بينها أي اختلاف في الكتابة، ولا في ترتيب الصفحات ولا في عدد سطورها، إلا أن كراريس الجزء بن ليست مرقمة كالجزء الأول، وتقل الحواشي في هذا الجزء فلم أر سوى تفسير كلمة (تنبل) أي مات أهد قاموس (١٩٦).

الجزء الثالث أوله بعد البسملة : (الباب السادس في ذكر المدينة الشريفة وأسمائها ومشاهدها ومعاهدها وفيه فصول).

وآخره يتفق مع آخر النسخة المصرية.

ويقع هذا الجزء (١٠٩) ورقات وهو كسابقه من حيث الكتابة، إلا أن فيه في ثلاثة مواضع كلمة (بلغ مقابلة) في الورقات ٢١، ٣٧، ٦٦ وفي الورقة (٥٥) حاشية على (بيت الأمير أقبردي) وأنه جعل أفرانًا هذا نصها : (وأما في هذا الزمان وهو سنة

١٢٠٧ فإنها منذ سنون مائتين صارت محل رجال الغوازي والقحاب وحدادين العجر ، وغير ذلك من اسفال البشر وسبحان من يعلم بمصيرها بعد ذلك ...) ثم كلمات ليست واضحة .

وهذه الحاشية موجودة في مخطوطة دار الكتب ، وهي تدل على أن نسخة بيل ليست من مخطوطات القرن التاسع عشر كما في طرتها باللغة الإنجليزية .

وقد أُلحقَ بهذا الجزء كتاب «حسن الصفا والابتهاج» من الورقة العاشرة بعد المئة إلى الورقة الثالثة والعشرين بعد المئة ، وفي بعض الهوامش كلمة (بلغ مقابلة).

وآخر الكتاب : (وفي سنة خمسين وألف كان أمير الحاج الأمير رضوان القفاري السابق ، صاحب الرأي الفائق ، وسع الله عليه رزقه آمين ، تمت الرسالة بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد).

ولا شك أن مخطوطتي دار الكتب وجامعة بيل نسختا بعد منتصف القرن الحادي عشر الذي هو تاريخ انتهاء كتاب «حسن الصفا والابتهاج» الملحق بهما ، وقد تكون نسخة (بيل) أقدم من نسخة دار الكتب ، ولولا وجود بعض العبارات التي لا تتفق النسختان على نصها لأمكن القول بأن إحداهما نسخت عن الأخرى. ولكن الغريب اتفاقهما في إلحاق كتاب «حسن الصفا والابتهاج».

وما تنفرد به هذه النسخة عن جميع النسخ كتابة كلمة (باشا) فهي في النسخ كلها (باشة) في جميع المواضع ، وفي هذه النسخة (باشا) في كثير من المواضع ، وهي تتفق مع نسخة دار الكتب في تحريف كثير من الأسماء ، وتمتاز عليها بإكمال جمل ناقصة .

وهذه النسخة - وقد رمزت لها بـ (ي) مع جبال خطها - كثيرة التحريف في الأسماء وفي الكلمات ، ويظهر أن ناسخها لا يحسن اللغة العربية لكتابته كلمات عربية واضحة كثيرة على غير وجهها الصحيح.

٣ - النسخة المغربية :

في خزانة جامعة القرويين في مدينة فاس نسخة من هذا الكتاب ، ورقها (٤٠) - (٥٥٤) تقع في مجلدين ، وتبلغ صفحاتها (٩١١) في الصفحة (٢٥) سطرًا بخط مغربي

حسن، وقد أثرت الرطوبة في كثير من الصفحات بحيث لا تُقرأ بسهولة، بل منها ما لا تُستطاع قراءته، كما عبثت العُتَّة ببعض الورق، فأصبح مهلهلاً، ثم رُقِع بورق شفاف، وهذه النسخة هي أوفى النسخ، إذ يستمر فيها تسجيل الحوادث إلى سنة ٩٧٢ - بينما يقف ذلك في النسختين اللتين تقدم وصفهما عند ذكر حوادث ٩٦٧ -.

المجلد الأول : في طرته تحيس الكتاب على من يقرأ فيه من طلبة العلم، في الخزنة الجديدة التي بقبلي جامع القرويين من فاس، وتاريخ التحيس أواسط رمضان عام واحد بعد الألف، والمُحِيسُ أحد ملوك المغرب المعروفين، فقد كتب فوق الكلام المتعلق بالتحيس ما نصه : (المسطر أسفله صحيح، وكتبه بخط يده عبيد ربه، أسير ذنبه، أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين بن الرشيد أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين الحسني ..).

وأول المجلد - بعد البسملة ؛ (عونك اللهم، صلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. قال الشيخ الإمام العلامة، عمدة أهل الأدب المتبحرين، كثر الإفادة للطالبيين، زين الدين بن (؟) عبد القادر بن البدري محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي، ختم الله له بالحسني، وحشره مع العلماء العاملين في المقام الأسعد الأسنى ^{صلى الله عليه وسلم} إنَّ أول ما يتوج بذكره رءوس الكتب والدفاتر).

ثم في الصفحة الـ (٥٤١) ما نصه : في ذكر حوادث ربيع الثاني سنة ٩٧٢ - : (وفي شهر تاريخه حضر شعوي الضور (؟) بخدمة السيد الشريف أبو نُعمي بن بركات أمير مكة، وعلى يده عروض منه يذكر أن قرية يَبْش من أرض اليمن كانت بيده قديماً، ويسأل مولانا السلطان في عودها إليه، وكان أمير الحج في هذه السنة أحمد أمير اللواء، وهو الذي وليا بأمر باشا مصر عام سبع وخمسين، ثم عزل عنها بعد شهرين بعثان بن أزدمر باشا، ولم تُحمد سيرته في هذه السنة في سائر أفعاله. والله تعالى أعلم).

المجلد الثاني : أوله (ص ٥٤٦) بعد البسملة : قال الفقير إلى الله تعالى الشيخ العلامة زين الدين عبد القادر بن البدر محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي، كان

الله في عونه وختم له بالحسنى، وحشره مع العلماء العاملين بالحل الأسنى : الباب الرابع : فيما يشتمل عليه ، الخ .

وآخره (ص ٩١١) : (قال مؤلفه : قد انقضى تسويده ولا أقول تحريره وتبييضه يوم الأحد لست ليال خلت من شهر رمضان المعظم من شهور سنة إحدى وستين وتسعمائة، ثم بعد عدة أعوام وقد منَّ الله تعالى - وله الحمد - بفسحة من الأجل، ويسر جمع ما في المؤلف من الأزل، شمرت عن مساعد الاجتهاد، ونقحت تلك المسودة، ورتبتها، وزدت عليها ما به حصول النفع لمن استزاد، فجاء بحمد الله وعونه وافيًا بالمراد، حسن الاختصار والاقتصاد، مع أني لم أجر في تأليفه على مثال سبق، ولا على نمط تقدمني فيه غيري، فأقول قد حاز فضل السبق واستحق، وإنما جمعته حسب البديهة من منح العزيز الحكيم «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» .

كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وكان الفراغ منه ظهر يوم الأحد المبارك الميمون، الرابع لشهر الله رمضان المعظم من شهور سنة تسعة (٩) وسبعين وتسعمائة..

فهل هذا تاريخ انتهاء التأليف من قبل المؤلف ، أو تاريخ كتابة النسخة؟ ليس الأمر واضحًا ولكن يفهم من جملة (ختم الله له بالحسنى) أن النسخة نقلت عن أصل كتب في حياة المؤلف إن لم تكن كتبت في حياته، ثم إن تاريخ التحجيس الذي في أولها - ١٠٠١ - يدل على قدمها، وأنها من مخطوطات القرن العاشر فهي على هذا أقدم النسخ الثلاث الوافية .

وليس في هوامشها ما يشير إلى مقابلتها بغيرها. كما أنها كثيرة التحريف والنقص في كثير من الكلمات والجمل .

وما فيها من الزيادات لا يقتصر على الاسترسال في كتابة حوادث السنوات الست، بل في مواضع أخرى كثيرة في البابين الأول والآخر.

وفي الباب الأخير من الإضافات ما كتب في الهامش أو الحرقه صغيرة وضعت في محلها .

[illegible][illegible]

كما أنَّ في بعض التراجم اختصاراً - عما في نسختي (مصر) و(ي) كترجمة عبد الوهاب الشعراني صاحب «الميزان» التي عول المؤلف فيها على الشعراني نفسه، وكان ينبغي أن يتره الكتاب عنها لما تحويه من التحريف، ومصادمة النصوص الشرعية، والتبجح بأمور لاحقة لها .

وكذا تراجم أخرى لبعض المتوصفة والبله، التي تُصوِّر بعض نواحي التفكير من بعض المنتسبين إلى العلم في ذلك العصر .

ولا أستبعد أن يكون الشيخ ابن حُمَيْد صاحب كتاب «السحب الوابلة» اطلع على أصل هذه النسخة، لأنه في كتابه نقل ترجمة الفتوح الحنبلي - المعروف بابن التَّجَّار - من هذا الكتاب، مصرحاً بأنه نقل عن نسخة منقولة عن خط المؤلف - وتلك الترجمة من زيادات هذه النسخة .

وبحسن أن أشير - شاكرًا ومعتزًا بالفضل - إلى أن الأستاذ عبد القادر زمامة الأستاذ في (جامعة القرويين) في مدينة فاس: ساعد في قراءة الصفحات الأخيرة ونسخها لي بقلمه .



وقد رمزت لهذه النسخة ب (مغ).

مكتبة جامعة محمد السادس

طريقة النشر:

لقد اتخذت النسخة المغربية أصلاً لقدمها، ولما فيها من الزيادات، فيما تمكنت من قراءته من نصوصها، ففيها صفحات لا تستطيع قراءتها، فما كان منها متفقاً مع النسختين الأخريين كان الرجوع فيه إليهما، وما زاد أشرت في الهامش إلى موضعه .

ورجعت - أيضاً - إلى النسخ الأخرى في الكلمات التي يقع فيها اختلاف، ووضعت ما اتفق عليه أكثرها، دون الإشارة إلى الاختلاف ما لم يكن محتملاً أن يكون هو الصواب .

ولم أهمل الجهد الذي بذله الأستاذ محب الدين الخطيب (١٣٨٩ هـ) رحمه الله مما لا يُدرك أثره إلا من اطلع على مخطوطات الكتاب، فرأى كثرة ما فيها من التحريف، ولهذا فإن مطبوعته التي صدرت سنة ١٣٨٤ هـ في ٧١٤ - عن المطبعة السلفية في مصر -

تعتبر خيراً من أصلها مخطوطة الأزهر ، ومخطوطة الشيخ محمد نصيف، المنسوخة عن مخطوطة مكتبة عارف حكمة في المدينة، والاعتماد على هذه المطبوعة يغني عن الرجوع إلى هذين الأصلين، يضاف إلى هذا ما أضافه الأستاذ محب الدين من حواش مفيدة، وما كتبه بعض الإخوة من صححوا مخطوطة الشيخ نصيف، مما رأيت واجب الوفاء يقضي بإيراده كاملاً، مع إضافة حرف (م) فيما لم يصرح فيه باسم المحشي .

ولقد حرصت أن يخرج هذا الكتاب على خير صورة أستطيع إبرازه بها تتفق مع عمل مؤلفه، فحاولت الثبوت من صحة ما فيه من نصوص منقولة عن مؤلفات استطعت الاطلاع عليها، فقابلتها وأشرت إلى ذالك في الحواشي التي حاولت أن تكون موجزة، فالغاية تحقيق النص، لا شرح الكتاب، كما حاولت السير على نهج الأستاذ محب الدين فيما صححه من أخطاء لغوية في كلمات يسيرة، أما الأخطاء التي اتضح لي - من اتفاق النسخ على كثير منها - أنها ليست كلها من تحريف النساخ، فتركها على حالها محافظة على النص، مع الإشارة إلى بعضها، ووضعت الكلمات الأعجمية بين قوسين مثل (الدوادار) وحاولت إيضاح هذه الكلمات بإيرادها مرتبة مفسرة في آخر الكتاب . وقد وضعت علامة الاستفهام (?) جوار ما استغلق علي فهمه من الكلمات، ونقطاً (...) مكان ما لم أستطع قراءته من (مغ) وما أكثره !!

١ - حين أقدم هذه الطبعة لكتاب جليل النفع غزير الفائدة - أحسُّ بالأسى لكونها غير محتوية على ما في أوفى مخطوطة منه وصلت إلينا، لعدم إمكان قراءة بعض صفحاتها التي أشرت إليها في الحاشية : وآمل أن يعثر على نسخة أوفى وأوضح من النسخ التي اتخذتها أصلاً لهذه المطبوعة، ليعاد نشر الكتاب بصورة أصح وأكمل مما برزت به هذه المطبوعة .

اعتراف بالفضل لدوبه :

في (مركز البحث العلمي) في جامعة الملك عبد العزيز في مكة المشرفة وفي (قسم المخطوطات) في عمادة شؤون المكتبات، في جامعة الرياض - أبناء بررة لهم علي من الأيادي الكريمة، بإمدادي بمصورات النسخ التي اتخذتها أصلاً لتحقيق هذا الكتاب، بل بالمسارعة لتحقيق رغبتي في الحصول على صور ما احتجت إلى الرجوع إليه من

الكتب - ما أرى اعترافي بالعجز عما يجب علي من شكرهم هو غاية ما أستطيع القيام به إزاء فضلهم .

إنهم يقومون بما يبذلونه لي ولغيري من طلبية العلم قيام مَنْ لا يريد من وراء ما يفعل من خير جزاء ولا شكوراً، لأنهم يرونه مما يجب عليهم القيام به من أعمالهم، للعلم وفي سبيله.

وأبناء آخرون خارج هذه البلاد ساعدوني في الحصول على صور مخطوطات من مكتبات لم أستطع الحصول عليها بدونهم. ولولا أن بعضهم أظهر لي عدم الرغبة بذكر اسمه لسميتهم كلهم .

فلأولئك ولهاؤلاء أتقدم - بعد الاعتراف بفضلهم - بالتعبير عن عميق تقديري وجزيل شكري .

حمد الحامس

الرياض



الحواشي :

- (١) من بلدة عنيزة - لا من عترة - كما جاء في مقدمة الطبعة الأولى .
- (٢) «سبط النجوم العوالي» ٢٩٣/٤ - وعنه نقل في حوادث سنة ٩٤٧ عن النسخة القديمة من كتابه « درر الفوائد» ونقل في حوادث سنة ٩٥٤ (٣٣١/٤) في ذكر الدخان الخارج من جوف الكعبة .
- (٣) في ترجمة والده في ذكر من حج من العلماء .
- (٤) ص (٤٠٠) وذكر الرشدي في كتاب «حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمرة الحاج» أن في سنة ست وسبعين وتسع مئة، كان أمير الحاج أحمد بيك كجك، ولقب بذلك لقصر قامته وكان يبيع التصرفات، ذمير السيرة لتناقض أفعاله، وتغير أحواله، وذمير أوصافه لقبوه بقرقوش . انتهى .
- (٥) تولى القضاء في جيلة في اليمن ، وفي جازان ، وتوفي في اليمن وهو أبو الشيخ عبد الكريم القطبي ولهذا كتاب مطبوع في تاريخ مكة مختصر من كتاب عمه .
- (٦) ذكر في مقدمة كتابه أن ما كان يتولاه : (عوائد العربان، وتحرير أدراكها، وفصل قضايها).
- (٧) «تاريخ الأدب العربي» ٤٤٧/٢ الأصل .
- (٨) «الأعلام» ١٦٨/٤ - الطبعة الثانية .
- (٩) «سبط النجوم» للعصامي ٣٣٧/٤ .
- (١٠) المصدر السابق ٣٥٢/٤ .
- (١١) والصفر كبير بحيث يشبه (٩٩٥) في المخطوطتين .
- (١٢) «البرق الباني» : ٤٠٠ طبع (دار الإمامة) .
- (١٣) انظر عن آل فهد مقدمة كتاب «حسن القرى» المنشورة في مجلة «العرب» ج وجب وشعبان ١٤٠٣ - السنة

مع ديوان أبي وهبل الجحامي

رواية أبي عمرو الشيباني

تحقيق : د. عبد العظيم عبد المحسن ، تقديم : د. زهير غازي زاهد من جامعة البصرة

مطبعة القضاء في النجف - العراق ١٣٩٢ هـ

يقع الديوان في ١٨٨ صفحة شغلت المقدمة منه مع (التقديم) اثنتين وأربعين صفحة كما استهلك منه التخريج والفهارس الأخرى اثنتين وسبعين صفحة، وعلى هذا يكون عدد صفحات الديوان ثمانين وسبعين صفحة.

وإذا عرفنا أن هذه الصفحات قد أثقلت بما يتصل بالخلاف بين روايات الأبيات وبشرح الكلم الغريب، أدركنا أن الديوان صغير جداً في قلة قصائده ومقطعاته.

وكان المستشرق كرنكو قد نشر الديوان في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩١٠ م (JRAS). وهذا شيء يسير من مكارم هذا المستشرق المجتهد، الذي كان له من التحقيق والدرس، الجليل من الأعمال، فقد نشر «الجمهرة» لابن دريد وأعمالاً أخرى كلها ذخائر.

الثامنة عشرة -

(١٤) سورة (الأنعام) الآية (١٤٥).

(١٥) ص ٥٥٥.

(١٦) كان المستعمل للشرب قشر البن - لا الحب - يحمص قليلاً ثم يدق ويغلى على النار، وكان يستعمل بهذه الصفة إلى عهدنا، ولا يزال يستعمل في جنوب الجزيرة : وهو ألطف شرباً وأحب عند كثير من جرب شرب القهوة حباً وقشراً.

(١٧) فعند أحدهم من كتب ابن حميد مجموع يحوى كتباً منها «بلدانيات السخاوي» اطلعتني على مصورة منها الأستاذ الكريم أبو عبد الرحمن محمد بن عقيل الظاهري.

مع ديوان أبي وهبل الجحجي

رواية أبي عمرو الشيباني

تحقيق : د. عبد العظيم عبد المحسن ، تقديم : د. زهير غازي زاهد من جامعة البصرة

مطبعة القضاء في النجف - العراق ١٣٩٢ هـ

يقع الديوان في ١٨٨ صفحة شغلت المقدمة منه مع (التقديم) اثنتين وأربعين صفحة كما استهلك منه التخريج والفهارس الأخرى اثنتين وسبعين صفحة، وعلى هذا يكون عدد صفحات الديوان ثمانين وسبعين صفحة.

وإذا عرفنا أن هذه الصفحات قد أثقلت بما يتصل بالخلاف بين روايات الأبيات وبشرح الكلم الغريب، أدركنا أن الديوان صغير جداً في قلة قصائده ومقطعاته.

وكان المستشرق كرنكو قد نشر الديوان في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩١٠ م (JRAS). وهذا شيء يسير من مكارم هذا المستشرق المجتهد، الذي كان له من التحقيق والدرس، الجليل من الأعمال، فقد نشر «الجمهرة» لابن دريد وأعمالاً أخرى كلها ذخائر.

الثامنة عشرة -

(١٤) سورة (الأنعام) الآية (١٤٥).

(١٥) ص ٥٥٥.

(١٦) كان المستعمل للشرب قشر البن - لا الحب - يحمص قليلاً ثم يدق ويغلى على النار، وكان يستعمل بهذه الصفة إلى عهدنا، ولا يزال يستعمل في جنوب الجزيرة : وهو ألطف شرباً وأحب عند كثير من جرب شرب القهوة حباً وقشراً.

(١٧) فعند أحدهم من كتب ابن حميد مجموع يحوى كتباً منها «بلدانيات السخاوي» اطلعتني على مصورة منها الأستاذ الكريم أبو عبد الرحمن محمد بن عقيل الظاهري.

وسأتي على هذا الديوان مُبتدئًا بتقديم زهير غازي زاهد ، وسيكون لي من ذلك
وقفات .

١ - أقول لقد قال البلاغيون : لكل مقام مقال ، وعلى هذا ينبغي لمن يعرض لنشر
ديوان قديم لشاعر من شعراء القرن الأول للهجرة أن يتهدى له بلغة سليمة يعمرها الكلم
الفصيح والبناء القويم ، مع دياجعة مشرقة واضحة . وهذا يفرض علينا أن نتجنب
الأساليب الصحفية التي تفتقر إلى الكثير من خصائص النثر الفني .

إن هذا الذي ورد في تقديم السيد زهير غازي زاهد شيء من هذه اللغة التي نشقى
بها في صحف عصرنا .

قال صاحب التقديم في الصفحة السادسة : وظلت حركة إظهار التراث قائمة حتى
اليوم لأنني أرى أن الأمة العربية مازالت في مرحلة النهضة .

وليس من شك أن في طوق الدارس أن يصل إلى المراد من هذه العبارة بمادة
فصيحة غير هذه المادة الصحفية .

وجاء في هذا التقديم قول المقدم : بل إن النشاط في هذا المجال (مجال الشعر) أكاد
أقول كان أكثر وأكثر... (كذا).

وهذا نموذج آخر لهذه اللغة المتهافنة التي تجد نظائرها في اللفظ الصحفي .

وأختم هذه النماذج بقول صاحب التقديم في الصفحة السابعة : (هذا الشاعر لم يكن
اسمه خافيًا على أحد في عصره ولا بعد عصره ... إذ أن شعره كان يُروى ويدرس بعد
عصره على أكبر الرواة واللغويين مثل شعر كبار الشعراء ...) .

ولا أدري أكانت صفحتنا هذا التقديم قد أضافت فائدة في درس هذا الديوان ؟
إنني لأميل إلى أن هذا (التقديم) لم يضيف شيئًا جديدًا . بل هو تعريف موجز بصنيع
(تلميذ شاب) هو السيد عبد العظيم عبد المحسن .

كنت أود أن يكون صاحب التقديم هاديًا مرشدًا لتلميذه لا يدعه مستطيلًا في

(جرائته) كما بدا لنا في مقدمته التي اشتملت على دراسة للشاعر والديوان .

لقد نشر المحقق مقدمته في ٣٣ صفحة توزعتها عنوانات هي : كنيته ، اسمه ، نسبه ، مولده ، من يقال له أبو دهب من الشعراء ، أخلاقه ، شخصيته ، تشييعه ، شهرته ورواية شعره ، نظرات في شعره وشاعريته ، تفضيل الشعراء لبعض أشعاره ، وفاته ، مصادر ترجمته ، ديوانه ، وصف النسخة ، راوي الديوان ، عملي في الديوان . وهكذا تنتهي هذه (الدفقة) من العنوانات .

قال المحقق تحت عنوان : (من يقال له أبو دهب من الشعراء) في الصفحة الرابعة عشرة : عند قيامي بمراجعة المصادر القديمة لغرض جمع شعر أبي دهب ، وجدت أن هناك شعراء آخرين يسمون بأبي دهب ، فبالإضافة إلى أبي دهب الجمحي هناك : أبو دهب الدبيري ...

أقول : أود أن أقف على كلمة (هناك) التي استعملها المحقق وجرى عليها المعربون منذ أول هذا القرن. إنَّ هذه الكلمة (الظرفية الإشارية) قد فقدت وظيفتها المعروفة في فصحى العربية ، فهي في استعمال المعربين - واستعمال المحقق كما أثرت - ليست ظرفاً يراد به الإشارة ، وكأنهم يريدون بها الفعل (يوجد) المضارع المبني للمفعول .

وقد يتساءل القارئ : وكيف كان هذا ؟ والجواب : أنَّ العربية المعاصرة قد نالها من الضيِّم مما أحدثته الترجمة الشيء الكثير ، ومنه استعمال (هناك) بمعنى (يوجد) فهي ترجمة لقول الفرنسيين (il ya) ولنقف قليلاً على هذه الفرنسية فنجدها مشتملة على الضمير الفاعل (il) ثم على الحرف الإشاري (ya) بمعنى (هنا) ثم الفعل (a) ، ومجموع هذا التركيب يؤدي معنى (يوجد) ، وكأنَّ معنى الظرفية قد تلاشى .

ولو أردنا أن نستوفي هذا الجديد الوافد لكان لنا منه معجم صغير يزداد كل يوم . ثم إن المحقق قال : (يُسمَّون بأبي دهب) والصواب : (يُكنَّى كلُّ منهم أبا دهب).

والمحقق سريع الكتابة وأعني بالسرعة أنه يعبر بالعبارة القاصرة التي تأتيه من غير أن يوالها شيئاً من التَّظُّر ، ومن هذا ما جاء في الصفحة نفسها :

٢ - وقال صاحب «المؤتلف» : أن ثعلب أنشد له هذه الأبيات في نوادره عن ابن الأعرابي. ثم عقب المحقق على قول صاحب «المؤتلف» بقوله : (وماعدا «المؤتلف» لم أجد له أية إشارة) .

أقول : لا بُدَّ أن يكون صاحب «المؤتلف» قد أثبت في كتابه : (أن ثعلباً أنشد له هذه الأبيات فليس من علة تمنع من تنوين (ثعلب) ، وهذا مما أحمله على خطأ المحقق في النقل^(١) .

ثم أن قوله : (وماعدا المؤلف لم أجد له أية إشارة) هو العبارة التي وصفتها بالقصور. وقال في الصفحة ١٥ : (ابو دَهَبَل الدبيري انفرد بذكره العلامة الزبيدي)^(٢) .

أقول : ووصف الزبيدي بـ (العلامة) شيء لا نرضاه في بحث علمي، ذلك أن الباحث يرمي بجمهرة من المؤلفين فكيف يقول في كل منهم إذا أراد أن ينعتة بنعت من نعوت التكريم ؟

٣ - وقال في الصفحة ١٧ في خبر يتصل بمعاوية وما كان منه في معاملة الشاعر أبي دهل : (... فقد زوجه معاوية وأعطاه أموالاً طائلة وجعل له جراية سنوية وأخذ منه العهود على أن لا يتكلم ضده ...) .

أقول : أراد المحقق بقوله : (على أن لا يتكلم ضده) ألا يتكلم عليه بسوء وبما لا يرضى . ولو استعمل حرف الجر (على) وقال : على أن يتكلم عليه لكان له ما أراد، ولكنه لم يعرف هذه النكتة في استعمال (على) وهي نقيض اللام ، فلو قلنا : حكمت له ، كان قولنا هذا على العكس من قولنا : حكمت عليه . واستعمال (ضدّ) من الخطأ الكثير الشبوح في لغة الصحف وغيرها .

٤ - وأفرد المحقق في الصفحة ١٨ كلاماً تحت عنوان (شخصيته) جاء فيه : (جملة أمور ساعدت أبا دهل لأن يصبح شخصية لامعة في عصره) .

أقول : دلالة (الشخصية) على الرجل ذي المكانة المشهورة في العلم أو الأدب أو الرأي أو غير ذلك، من الكلم الجديد الذي اجتهد فيه الترجمة ليأتي مقابلاً لـ : (Personnalité) الفرنسية ونظيرها في الإنكليزية . وقد تفتن إلى نباهة المترجم الذي اختار (الشخصية) فأتى بها على طريقة المصدر الصناعي بالياء المشددة مع التاء فكانت مؤنثة لأن الأصل الفرنسي مؤنث.

ومن المفيد أن نتكلم قليلاً على (الشخصية) فنقول إنها من (الشخص) والشخص ما ارتفع من كل شيء علماً واضحاً فقد يكون رجلاً، وقد يكون شيئاً آخر غير رجل كالعمود مثلاً، ولكن الكلمة غلب فيها الدلالة على الإنسان، وبهذا استعملت، قال عمر بن أبي ربيعة :

وكان مِجَنِّي دُونَ من أَتَقِيهِمْ ثلاثُ شُخُوصٍ كاعيانٍ ومُعَصِرٍ

على أن (الشخص) من الكلم الشائع في اللغة المعاصرة ودلالته على الرجل عامة، ثم جمع على (اشخاص).

أما (الشخصية) فهي من الكلم الجديد الذي نقلوا به كلمة أعجمية، ثم شاعت في اللغة العامة كما شاعت في اللغة العلمية فصارت (الشخصية) مادة في علم النفس الحديث .

قلت : شاعت في اللغة العامة وبهذا استعملها المحقق عنواناً لفصل، ثم قال في كلامه الذي نقلناه : (شخصية لامعة).

أقول : وهذا الوصف (لامعة) للشخصية من الكلم المترجم الجديد فقد قالوا في الفرنسية (Personnalité Brillante) . وقد قال الأوائيل شيئاً يشبه هذا فوصفوا الرجل بـ (الأملي) .

٥ - وجاء في هذا الفصل في الصفحة ١٩ خبر يتصل بسليمان بن عبد الملك ورد فيه : (... إنني (أي سليمان) أريد أن أُميته وأُميت ذكره بعملتي هذه ...) .

أقول : وقد تسمَحَ المحقق فغيرَ في لغة الخبر القديم المنسوب إلى سليمان بن عبد الملك، وجعلها لغة معاصرة، وهذا غير جائز. وكيف يقول سليمان «بعمليتي» (كذا) هذه ؟

إن (العملية) من الكلم الجديد، نظير النظرية والفرضية وغيرهما، ولذلك قالوا : (عملية جراحية)، ولا يمكن أن نستعيرها فنجعلها على لسان رجل عاش في القرن الأول الهجري .

٦ - وجاء في فصل في الصفحة ٢١ عقده المؤلف على (تشبّعه) قول المحقق : (...) وتغزل بعاتكة بنت معاوية لأجل الإساءة لوالدها لا حباً بها، لكي يُظهر للناس بأن الأسرة الأموية تحكم بالإسلام وهي لا تلتزم بتعاليمه، فهي فاسقة ماجنة وبناتهم فاسقات فاجرات، كل ذلك لأجل الانتقاص من معاوية .

ويمضي المحقق فيقول : (...) وإلّا ما غرضه من إشاعة غزله بعاتكة بين الناس وإعطائه للمغتنين لكي يلحنوها ويغنوها في مجالسهم، فلو كان حبه صحيحاً لما أشاع خبر حبه بين الناس قبل أن يتفق معها ويأخذ رضا والدها .

ويمضي المحقق في هذه الدراسة التي تفتقر إلى التدقيق العلمي فيقول : (وهناك أدلة أخرى تعزز قولنا هذا، ومن هذه الأدلة أنه صور في بعض قصائده بأنه كان على صلة جنسية معها وأنه خاصرها وما شاكل ذلك في العبارات التي وردت في قصائده. ثم تجده في قصائد أخرى يشكو الحرمان وعدم تمكنه من الاجتماع بها مع اشتهاار قصة حبه لها واتصاله معها، ولا يمكننا أن نخرج هذه الأشياء إلّا على الإساءة والانتقاص من معاوية ...).

أقول : كنت أود لو أن المحقق اتبع نهجاً علمياً دقيقاً فخلص من ذلك إلى أن أبا دهب شيعي له من الرأي والعقيدة ما يفرض علينا أن نذهب إلى أنه شيعي ومن شعراء الشيعة، ولكنني وجدت أن الذي بسطه المحقق من (الأدلة) يفتقر إلى أن يكون من (الأدلة) ! وهو كلام لا يخرج عن حاسة وعاطفة دينية للشيعة والتشيع .

لقد جعل المحقق تغزل الشاعر بعاتكة بنت معاوية غزلاً لا يُمْتُ إلى الغزل الصادق،
أو قل إلى الحب الأكيد، بل أراد أن يسيء بغزله إلى أبيها معاوية (لا حباً بها) .

أقول أيضاً : يجهل المحقق أن الغزل والتشبيب ما كان ليسيء إلى سمعة من يُتَغَزَلُ بها
أو إلى ذويها أو قبيلتها على النحو الذي عرفه المحقق حين اجتهد هذا الاجتهاد، فقد عرف
عن عمر بن أبي ربيعة أنه تغزل بكرائم قريش، كما عرف شيء من ذلك في أخبار عبيد
الله بن قيس الرُّقَيَات. ولنا من أولئك (الكرائم) غير واحدة ممن اشتهرن بعلاقتهم
بالشعراء، فأخبار عائشة بنت طلحة معروفة، وليس من سبيل إلى انكارها .

أقول : ليس من سبيل إلى إنكار تلك الأخبار التي أشارت إلى تَسْمُحِ الكرائم من
قريش في سماع التشبيب بهن، وذكرهن بما لا يَسُوء، ولم تكن تلك الاجتماعات أو قل ما
كان من التشبيب والغزل ليشير حفيظة آبائهن أو اخوانهن أو ذوي قرباهن، أقول : ليس
من سبيل إلى إنكار هذا لِأَرَدَ على مَنْ أَنْكَرَ أَنْ تكون سَكِينَةُ بنت الحسين السبط الشهيد
قد شاركته في هذا النمط من السلوك الذي لا أَحْسَبُهُ إِلَّا مَزَكِيًا لهذه السيدة الفاضلة عليها
وعلى أبيها أفضل السلام .

كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ لِلْمُطَهَّرَةِ الزُّكَاةِ السَّيِّدَةِ سَكِينَةَ قَدْ نَظَرُوا
إِلَى الْغَزْلِ فِي عَصْرِنَا وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ لَوْ أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى فِتَاةٍ بَعِيْنَهَا وَمَا يَحْتَثِلِبُهُ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ
السَّمْعَةِ .

لقد سمعت السيدة سَكِينَةَ غزل الشعراء وحكمت فيه، وكان لآرائها أصالة ورجاحة دلَّتْنا
على عقل راجح وخلق كامل وسيادة تتأتَّى من بيت رفيع هُوِيَّتِ النبوة على سيده وآله
أفضل الصلاة والسلام .

ثم إن المحقق حين أشار إلى أن الشاعر أراد أن يسيء إلى معاوية أخذه شيء من
حجاسة مضللة فراح يَسِّطُ مساوي بني أمية وفسادهم وإفسادهم للإسلام، ثم خلص إلى
أن الشاعر غير مُجِبِّ بل إنه وصمه بالعبث والفساد في صلته بعاتكة، وأنه خاصرها
وانتهى إلى القول (بصلته الجنسية) (كذا) .

أقول : لو أن هذا كان حقاً فليس من حاجة إليه لباحث يبحث في (تشيع) أي دهبل . وكأنه نسي هذا الذي اتخذهُ دليلاً على (تشيع) الشاعر ، إذ قال : ثم إنه (أي الشاعر) كان يجب امرأة من قومه يقال لها (عمرة) وكان لا يفارق مجلسها . وكأنه على هذا خلاص إلى القول : ولا يمكننا أن نخرج هذه الأشياء (أي أخبار الشاعر مع عاتكة) إلا على نحو الإساءة والانتقاص من معاوية .

أقول : وجاع ذلك يدل على تَحَبُّطِ هذا الدارس الذي لم يتضح له وجه العلم .
أقول : لعلني أذهب إلى أن الشاعر لم يكن شيعياً ، ولا أريد أن أبعد عن التشيع من غير أن يكون لي ما استطع به أن أطمئن إلى ما أقول :

أقول : كيف يكون أبو دهبل شيعياً وقد كان من أصحاب ابن الزبير مدحه ونَصَرَهُ ، ورثي أصحابه الذين قتلوا معه ، وقد ولاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن ، فكيف يكون (شيعياً) من كان على هذه الحال من الولاء والصلة ؟

يقول المحقق للدبوان في تفسير هذا : إنه مدح عبد الله بن الزبير لا حباً له لأنه ضِدُّ آل البيت الذين يسير على نهجهم ، بل لأنه ضد معاوية ، فلما ثار ابن الزبير على معاوية صار أبو دهبل من شيعته وأنصاره .

وأقول : هذا تفسير غريب وليقف على هذه المسألة أهل العلم لينظروا كيف يغلب الهوى فتضيع حقائق .

٧- وقال المحقق في الصفحة ٢٢ :

ومما يعزز قولنا بتشيعه هو ما ذهب إليه قسم كبير من الذين كتبوا عنه إذ وصفوه بأنه من شعراء الشيعة ، فقد عدّه ابن شهر آشوب في «معالمه» من شعراء أهل البيت المتّقين ، وذهب إلى تشيعه أيضاً : الأمين في «الأعيان» ، والطهراني في «الذريعة» ، وكاشف الغطاء في «الحصون المنيعه» ، والصدر في «تأسيس الشيعة» .

وأقول في الكلام على هذا : ان هؤلاء الذين أشار إليهم محقق الدبوان هم من

الشيعة المعاصرين ماعدا الصدر الذي عاش في القرن الماضي وأدرك هذا القرن، وليس فيهم مُتقدم عن هؤلاء إلا ابن شهر آشوب وهو من رجال القرن السادس الهجري .

ولديّ رأي في منهج هؤلاء الشيعة فالذي يؤخذ عليهم أنهم تكثرُوا في الشيعة، فقد عدَّ السيد الأمين طائفة كبيرة من المعتزلة من رجال الشيعة، وقد أدخل أكثر من ترجم لهم مسكويه في «أعيان الشيعة»، وكيف يكون مقبولاً أن يترجم شعبي للزنجشري على أنه من رجالهم !!

ومن تخليط آغا بزرك الطهراني في «الذريعة» أنه ترجم لإبراهيم بن سهل الاسرائيلي . وقد عدَّ السيد حسن الصدر في «تأسيس الشيعة» أبا عمر الزاهد من اللغويين النحاة في القرن الرابع الهجري من رجال الشيعة معتمداً على أن لأبي عمر الزاهد كتاباً في «فضائل الإمام علي» .

وأقول : لقد ضل السيد حسن الصدر السبيل، وفاته أنَّ أبا عمر الزاهد قد صَنَّف كتباً هي : «فضائل أبي بكر» و«فضائل عمر» و«فضائل عثمان» و«فضائل معاوية» وكيف يكون شيعياً من يصنّف في «فضائل معاوية» !!

وأعجب من هؤلاء العلماء الأجلة كيف ذهبوا هذا المذهب فتكثروا في تراجمهم وحشروا فيها قوماً ليسوا من الشيعة، لقد فعل هذا الأب شيخو في «شعراء النصرانية» فجعل جميع شعراء الجاهلية من النصارى واشتط أكثر من ذلك فجعل طائفة من المسلمين في عداد شعراء النصرانية، قاتل الله التعصب، إنه يعمي الأبصار والبصائر .

ويظن المحقق أن الشاعر حين رثى الحسين - عليه السلام - لأبْد أن يكون شيعياً .

والذي أراه أن رثاء الحسين وسائر ما يدخل في (أدب الطف) قد شارك فيه غير الشيعة وذلك لأن استشهاد الحسين وما لقي أهل بيته في معركة الطف في كربلاء حُطِّبُ جَلُّ زَلُّل أركان المسلمين فاستنكروا فعلة يزيد ، وأنحوا باللائمة على كُلِّ من شارك فيها .

ومن أجل ذلك آلمت المصيبة المسلمين عامة فألهمت المشاعر وعمّ الحزن فأنبرى يرثي الحسين ويذكر الفجيعة جمهرة من الشعراء وقد تلقى بينهم من كان من رجال بني أمية أو ممن كان محمولاً عليهم. وظل رثاء الحسين وسائر أصحابه موضوعاً من موضوعات الشعر طوال العصور. لقد رثى الحسين وآل بيته الأطهار جماعة أبعد ما يكونون عن الشيعة ففهم المتصوف والزاهد، وفهم الساخط على الظلم والفساد وفهم وفيهم... ألا ترى أن الشاعر عبد الباقي الفاروقي العمري الموصلّي كان من المنقطعين إلى رثاء أهل البيت الطاهر فرثي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - ورثي الحسين ورثي آل بيته الذين استشهدوا معه ، ولم يكن من الشيعة ؟

ولنرجع إلى أبي دهب الذي رثي الحسين السبط - عليه السلام - كما رثي ابن الزبير ، وقد قالوا : إنه مدح معاوية بن أبي سفيان ، وقد توجه مادحاً الوليد بن يزيد بن عبد الملك في مقطوعة وردت في الديوان ، وهذا يعني أن الشاعر كغيره من الشعراء الذين كان لهم شيء من هذا السلوك فلا يمكن أن نحمل الفرزدق مثلاً على (الشيعة) أو أنه من شعرائهم لأنه خاطب هشام بن عبد الملك في الحج وقد رأى أن الصفوف من الحاج قد انفرجت حين قدم الإمام علي بن الحسين فسأل : من هذا ؟ فلم يكن من الفرزدق إلا أن قال له قصيدته المشهورة التي مطلعها

هذا ابنُ خيرٍ عبادِ الله كلهم هذا التقيُّ التقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

وعدّ البلاغيون هذه القصيدة من عيون الكلام البليغ وذلك لمطابقتها مقتضى الحال .

وعلى هذا أظن أن من الحق ألا نذهب إلى القول في أن أبا دهب من شعراء الشيعة ، وأنه شيعيٌّ (ملتزم) كما قال محقق الديوان. وإذا جاز أن يكون شيعياً من رثي أولئك الميامين من آل الرسول فهل يحق لنا أن نقول أن ابن قيس الرقيّات كان شيعياً مع أنه زبيري الهوى .

ولماذا يتكثر أصحابنا في كتبهم ، ألم يكن بين الشيعة من الرجال العظام مما ينبغي لنا

أن نشيد بهم، فليس من حاجة إلى أن نحمل عليهم جاعة ليست منهم وإذا كنا نشط فتكثر فإني لمع القائل القديم : «ما زاد حنّون في الإسلام خردلة» .

٨ - وجاء في الصفحة ٢٣ في فصل عنوانه «شهرته ورواية شعره» :

«وشعره يُدرّس على يد أفضل الأدباء وأشهرهم».

وليس من حاجة إلى الإشارة إلى أن هذه اللغة ما كان لنا أن نقرأها في مقدمة لديوان أبي دهبيل.

٩ - وجاء في الصفحة ٢٥ في الكلام على «شعره وشاعريته» :

إن أبا دهبيل شاعر ملتزم له رسالة يسير عليها فلا يهمل المال بقدر ما يهمل تطبيق رسالته (كذا) .

أقول : والذي يقف على هذا الديوان الصغير لا يمكن له أن يصدّق الحق في هذه الدعوى العريضة. وكنا قد أشرنا إلى سلوك الشاعر وصلته بغير جهة سياسية واحدة .

١٠ - وجاء في الصفحة نفسها قول الحق : (والذي يقرأ شعر أبي دهبيل قراءة جيدة يلاحظ عليه أنه يهمل الهمة في بعض الأحيان «ريم، الشام»...) .

أقول : وليس الأمر «إهمال الهمة» وينبغي أن يقال «تسهيل الهمة». وتسهيل الهمة في (ريم) و(الشام) ليس خاصاً بمسألة «لهجة أهل الحجاز» كما أشار الحق، بل إن ذلك قد يعرض للشاعر مما يفرضه عليه الوزن .

ثم قال : والشئ الذي يطغى على «قصائده» هو قصرها، فأغلبها قصائد قصيرة لا تتجاوز عشرة أبيات .

أقول : وهذه «مقطّعات» وليست قصائد .

١١ - ويحسن بي أن اختم تعليقاتي على اللغة الضعيفة التي اشتملت عليها مقدمة الحق بقوله في الصفحة ٢٥ : (وشعره ناتج عن معاناة يعيشها الشاعر، ومن المعروف أن

الشعر الذي فيه معاناة غالباً ما يكون جيداً لأنه ينتج عن معاناة عاشها الشاعر وحاول أن يعكسها في شعره، بعكس الشعر الذي يخلو من المعاناة فهو لا يكون بمستوى شعر المعاناة لأنه يأتي عفواً الخاطر ...).

أقول : لعن الله هذه «المعاناة» المتكررة التي كانت شجاً في حلقي ...

١٢ - وجاء في «مصادر ترجمته» التي ذكرها المحقق جملة مصادر لمؤلفين عدة هم ابن الاعرابي، ومصعب الزيري، والزيبر بن بكار، ومحمد بن حبيب، والمبرد، وابن دريد، وأبو الفرج الأصبهاني وغيرهم، ولم يقل أحد من هؤلاء المتقدمين أن أبا دهل كان شيعياً. وقد تتابع هؤلاء على التواتر، ثم خلف من بعدهم خلف سار على نهجهم . وقد رجع المحقق إلى النسخة التي نشرها كرنكو الألماني وقد كنا ألمعنا إلى هذه النشرة، ثم قال المحقق في الصفحة ٣٨ : (بعد هذه «العملية» - يريد الاعتماد على نشرة كرنكو وما أضافه المحقق مما وجده من شعر الشاعر في مصادر الأدب - أشار إليّ أحد الأصدقاء بوجود نسخة من ديوانه برواية أبي عمرو الشيباني عند أحد رجال الدين في النجف ... ومقدماً (كذا) ذكر لي صديقي أن صاحبها لا يسمح لأي أحد بالاطلاع على ما تحتويه مكتبته خشية أن يعرف الناس بوجود كذب خطية عنده، وذهبت إليه في محاولة يائسة وسألته فيما إذا كان لديه ديوان لأبي دهل فنفي وجوده، وبعد أن أرسلتُ إليه شخصاً يحترمه ولا يتمكن من ردّه، وبعد الأخذ والرد، اشترط عليه شروطاً من جملتها أن يسمح لي بمراجعته من دون أن يخبر أحداً بمكان وجوده ، فوافقت على شرطه، وسمح بمراجعة النسخة فراجعته واستفدت منها كثيراً).

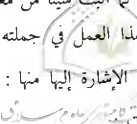
أقول : لقد آثرت أن أثبت هذا الذي أثبتته المحقق في مقدمته لإدكّل على كرم الخلق الذي يتّصف به هذا الذي دعاه المحقق (أحد رجال الدين) ، وكيف يكون هذا من (رجال الدين) وهو أبعد ما يكون عن سماحة الدين وكرمه، وهو يتنكر لما جاء في الأثر : زكاة العلم نشره. وما عرف هذا المحمول على (الدين) أن المحقق قد أساء إليه وجعله من طبقة (رجال الدين) و(رجال الدين) مصطلح تاريخي مسيحي .

أقول : أذكرتني هذه المسألة بمحاضرة ألقها الدكتورة عائشة عبد الرحمن في قاعة كلية العلوم ببغداد منذ ثلاثين سنة، وكان موضوعها (المخطوطات العربية) حملت فيها على الغربيين ووصفتهم بالدنيّ الناقص من الصفات، وأنهم سرقوا مخطوطاتنا.

وأذكر أنني قلتُ لها يومئذ بعد انتهاء المحاضرة : ليت أولئك السّارق الغربيين سرقوا جميع مخطوطاتنا، وذلك لأنهم حفظوها وصانوها وسّروها لكل طالب، فأنتَ تحصل على أي مخطوط في بريطانيا أو فرنسا أو هولندا أو ألمانيا أو أمريكا أو غيرها، ولكنك لا تحصل على المخطوط من تركيا أو إيران أو مصر أو تونس أو سائر بلاد العرب والإسلام^(٣).

ثم نأتي إلى الديوان فنقول :

كان جهد المحقق كبيراً فقد أثبت النص ثم أثبت في حواشيه الروايات المختلفة كما وردت في مصادر الأدب والتاريخ، كما أثبت شيئاً من معاني الكلم الغريب وترجمات لأعلام ورد ذكرهم في النص . وهذا العمل في جملة مفيد أحسن فيه المحقق . غير أنّ لي عليه أشياء لأبّد من الإشارة إليها منها :

١ - جاء في الصفحة ٤٩ البيت  البيت

لعزيرة من حضرموت على محيّاها إثارة

وقد علق المحقق على قول الشاعر (لعزيرة) فقال في الحاشية :

رواية الديوان : (لغريرة من حضرموت ...) وهو تحريف .

أقول : ورواية الديوان التي رفضها المحقق أوجهٌ وهي الصواب ، و(الغريرة) يقتضيها غزل الشاعر وهي أوفى غرضاً من (العزيرة) .

ولم يقل المحقق : من أين أتى بما رآه صواباً وهو إثباته لـ (عزيرة) .

٢ - ومما يؤخذُ على المحقق شرحه لـ (حضرموت) و (مكة) وهو من الكلم المستغني عن الحاشية .

٣- ومن حواشي المحقق غير المفيدة ترجمته لما لا يحتاج إلى ترجمة، فقد ترجم للحسين بن علي بن أبي طالب - عليها السلام - ، وما أظن أن أحدًا يشاطر المحقق الرأي في قيمة هذه الترجمة وذلك أن المترجم من أشهر أعلام هذه الأمة، وإننا لراغبون أن نعرف المحقق ومن يكون ومستغنون عن حاشيته في التعريف بسيد شباب أهل الجنة - رضي الله تعالى عنه - .

٤- وما يؤخذ على المحقق أخذه بما ورد في الكتب الحديثة وعدة روايات نظير ما ورد في المصادر القديمة، ومنهج التحقيق العلمي يقضي أن يكون : «أعيان الشيعة»، و«دراسات في قواعد اللغة العربية» و«تاريخ الأدب» لعمر فروخ، و«المقاصد النحوية» و«تاريخ آداب اللغة العربية» و«دائرة معارف البستاني» و«المرشد في فهم أشعار العرب» لعبد الله الطيب و«مراجع الأدباء العرب» لخلدون الوهاني وغيرها، أقول : ومنهج التحقيق يستبعد أن تكون هذه الكتب الحديثة مصادر للرواية الأدبية.

هذه جملة (نقاط) بدت لي وأنا أقف على هذا الديوان الصغير وقد اجتزأت بهذا القدر مخافة الإطالة في الكلام على كتيب صغير.

كلية الآداب (الجامعة الاردنية) د. إبراهيم السامرائي

الحواشي :

- (١) بل محقق ديوان أبي دَهَبَل أدخل حرف (أَنْ) على كلام صاحب «المؤتلف» ونُصِّه : (ومنهم أبو دَهَبَل الدُّبَيْري، أنشد له ثعلب في «نوادره» عن ابن الأعرابي يقول في ابنته - ثم أورد ما قال .
- (٢) ثم كيف يكون الزُّبَيْدِي انفرد بذكره وقبله الآمدي - الحسن بن بشر المتوفي سنة سبعين وثلاث مئة ذكره في كتابه «المؤتلف والمختلف» - ص ١١٧ - طبعة كرنكو؟!
- (٣) ومثل هذا جرى لصاحب هذه المجلة ، فقد نشر قبل خمسين عامًا في جريدة «البلاد السعودية» ترجمة للشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، انتهى فيها باللائمة عليه حيث ذهب بمجموعة من المخطوطات العربية إلى (لندن) فباعها هناك وبعد بضع سنوات زار صاحب المجلة مكتبة عارف حكمة - في المدينة المنورة - لمطالعة جزء من كتاب «المستجد من فعات الأجداد» للمحسن التنوخي، كان اطلع عليه بين مخطوطات المكتبة، ففوجئ من قبل مدير المكتبة بأن الكتاب مما أخذه فخري، الوالي التركي الذي أخرج من المدينة في عهد الشريف الحسين ! فكتب مقالاً في جريدة «المدينة المنورة» وكانت تصدر في المدينة يستنزل الرحايات على جدت الشيخ الحلواني، الذي وضع تلك النسخة من المخطوطات في أيدي أمينة حفظتها ووضعت لها فهرساً مطبوعاً، ويسرت لكل باحث الاطلاع على ما يروم الاطلاع عليها منها (انظر «العرب» السنة الأولى ص ٣٠٣) .

رجال في القمّة

- ١ -

[وَأَقَى أَسَاتِذُنَا الْحَلِيلُ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعِدِّ قُرَاءَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ بِسَلْسَلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَمَّةِ بِعَنْوَانِ (نِسَاءٌ فِي الْقِمَّةِ) - «العرب» س ١٥ ص ٣٩٥ - إِلَى س ١٦ ص ٣٧٠ - .
وَهَا هُوَ يُوَافِي تِلْكَ الْأَحَادِيثَ ، وَيُوَاصِلُ حَلَقَاتِ تِلْكَ السَّلْسَلَةِ ، بِعَنْوَانِ آخَرَ (رِجَالٌ فِي الْقِمَّةِ) .]

و (قِمَّة) كِسْنَانِ الرَّمَحِ بَارِزَةٍ ضَحِيانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مُحْرَقِ
بَادَرَتْ قَتْنَهَا صَحْبِي وَمَا كَسَلُوا حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا قَبْلَ إِشْرَاقِ
«ثَابِتِ بْنِ جَابِرٍ»

الْأُمِّ فِي عَنُفَوَانِ عَزَّتْهَا ، وَلَدَى رَوَاجِ سَوْقِ مَجْدِهَا ، يَتَسَابَقُ أَبْنَاؤُهَا فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ،
وَيَتَنَافَسُونَ فِي حِيَازَةِ قَصَبِ السَّبْقِ ، فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ ، وَجَمِيعِ مَا يَسْعَى لَهُ الْبَشَرُ مِنْ
غَايَاتٍ . فَتَجِدُ فِيهَا الشُّعْرَاءَ الَّذِينَ يَفْتِنُونَ الْأَلْبَابَ بِأَغَانِيهِمْ ، وَالخُطَبَاءَ الَّذِينَ يَسْجُرُونَ
الْعُقُولَ بَبِيَانِهِمْ ، وَالْقَادَةَ الَّذِينَ يُخْرِجُونَ مِنْ سَاحَاتِ الْمَعَارِكِ بِأَكْلِيلِ الْغَارِ ، وَرَايَاتِ
النَّصْرِ ، وَالتَّجَارَ الَّذِينَ يَرْكَبُونَ الْبَحَارَ ، وَيُجَوِّبُونَ الْقَفَارَ ، طَلِبًا لِلْمَالِ ، وَرَغْبَةً فِي نَيْلِ عِزَّةِ
الْغِنَى ، ثُمَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ يَبْنُونَ الْأَسَاسَ الصَّلْبَ لِعِظَمَةِ الْأُمَّةِ ، وَيَقِيمُونَ السِّيَاحَ الْخَصِيْنَ
لِبَقَائِهَا عَزِيزَةً عَلَى حَوَادِثِ الْأَيَّامِ ، وَتَقْلِبَاتِ الزَّمَانِ .

وَفِي السَّبَاقِ بَيْنَ أَبْنَاءِ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ إِلَى صُعُودِ جَبَلِ الرِّئَاسَةِ تَرَى مِنْ
كَلَّتْ قَدَمُهُ فَوْقَ أَدْنَى الْجَبَلِ ، وَمَنْ تَقَدَّمَ فَوَصَلَ السَّفْحَ ، وَالْقَلِيلَ الْقَلِيلَ الَّذِي وَصَلَ
إِلَى الْقِمَّةِ ، فَيَقِفُ فَوْقَهَا نَبْرَاسًا لِمَنْ أَرَادَ الْإِهْتِدَاءَ بَنُورِهِ ، وَنُمُودَجًا لِمَنْ يَحْتَنِذِي حَذْوَهُ ،
وَيَنْسِجُ عَلَى مَنَوَالِهِ .

فِي الشُّعْرِ - مَثَلًا - تَجِدُ الْمَثَاتِ بِلِ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، مِنْذُ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى

في حياة الأمة العربية ، الذين شَدَّوا بأغانيهم الرائعة فَأَعَجَبُوا وأَطربوا ، وكان لكل وجهة توجه إليها ومنحى نَحَا نحوه وأجاد فيه ، ولكن من ذا الذي وصل إلى القمة العليا فَشَعَلَتْ بشعره الألسنة والأفلام ، وشغفت به القلوب فسار بين الناس مثلاً رائعاً ، وحكمة جميلة ، وحقُّ له أن يتَّخَذَ مَرِيئاً لشباب أمتنا ومرشداً لفتياننا؟ إنه ذلك الرجل الذي أصيب أشد اعدائه بالدهشة بل بالهزيمة حينما توفي أحد أقربائه فجاءته رسائل التَّعْزِية . وكل منها قد بُدِيَّ بَيْتِي المتنبي :

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي نَبَأٌ فَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صَدَقَهُ أَمَلًا شَرَقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي
أما اللغة العربية فسَوَّى أساسها ، وأشعل نبراسها ، وجعل لها في الخلود الدنيويَّ مكاناً دونه كل لغات الأرض: الخليل بنُ أَحْمَد الفراهيدي ، الذي عاش حياته زاهداً عابداً ، فقد كان أول مُبتكر للمعاجم اللغوية ، وأباً للنَّحْو الذي جمع سيبويه ما وَعَاهُ منه في «الكتاب» .

فالخليل مهمَّما سعى الساعون ، وبادر المبادرون بَتَرَع فوق قمة اللغة العربية . وهو نموذج لا في اللغة وحدها بل في الجهاد والعبادة أيضاً .

وفي التاريخ استطاع فتى مغربي أن يعلو فوق شيخ المؤرخين الطبري ، بعد أن أخذ عليه وعلى أضرابه من المؤرخين أنَّهم يخلطون الغثَّ بالسمين ، والقصص بالحقائق ، والخيال بالواقع . بل ارتفع وارتفع ليسبق إلى قمة عالمية ، بعد أن كتب «مقدمته» في التاريخ التي أسس بها علماً لم يُسَبَقْ إليه ، وهو علم الاجتماع صَوِّو التاريخ وتَوَامُهُ ، ذالكم هو ابن خلدون .

وفي الطب يتنافس على القمة ابن سينا والرازي ، ولكن ابن سينا الذي لم يبتكر ابتكار الرازي في هذا الميدان بَقِيَتْ له قمة الفلسفة لا يتنازعها أحد فيها .

وفي الفلك قدوة علمائنا وهادي شبابنا البيروني ، الذي قاس محيط الكرة الأرضية بظل جبل على ساحل البحر في الهند ، وثبت في هذا الزمان ذى الآلات العجيبة ،

والمبتكرات الجديدة ، أن ذلك القياس كان صحيحاً لم تخالفه الدقة إلا في مسافة يسيرة .
إلى جانب أعمال أخرى جعلته قمرًا نيرًا وإن كسفته شمس هذا الزمان .

والآن إلى أين نمضي ؟ لنُعُدَّ إلى سيد الشعراء نَهْتَدِي بِرَأْيِهِ فِي أَصْحَابِ الْقَمَمِ
العالية ، والذين يجب أن نُحَدِّثَ شَبَابَنَا عَنْهُمْ دُونَ سَوَاهِمُ ، إنه يقول :

حَتَّى رَجَعْتُ ، وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلْسَيْفِ ، لِبَسِ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
إن ميادين الحروب هي التي تجعل الشعر تزكو ثِمَارُهُ ، والخطابة تنوع أغصَانُهَا ،
والعلم يحفظ له أَمْنُهُ لِيُثْمَرَ وَيُفِيدَ ، والمال يحفظ على أَصْحَابِهِ ، والبلاد تبقى لأَهْلِهَا . وهنا
أيضًا لا نريد أن نترجم لجميع أبطال أُمَمِنَا المحاربين بل نضع شروطًا لمن نختاره لهذا
المكان ، هي : سعة الحيلة ، وقوة المكيدة ، ونفاذ البصيرة ، وأن يكون ممن يصدق فيهم
قول لَقِيْطِ الْإِيَادِي :

وَقَلْدُوا أَمْرُكُمْ - اللَّهُ دَرُكُكُمْ رَحَبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا
لَا مُتَرَفًا ، إِنَّ رَحَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَا إِذَا عَصَى مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعًا
مَا زَالَ يَحْلِبُ هَذَا الدَّهْرُ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مَتْبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَرِيئَتِهِ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا فَحْمًا وَلَا ضَرَعًا
وَلَنْضَرْبِ الْأَمْثَلِ ، وَلَنَأْتِ بِالشَّوَاهِدِ ، لَتُظْهِرَ الْقَضِيَّةَ وَاضِحَةً ، وَالْمَسْأَلَةَ جَلِيَّةً ،
ولنعذر في اختيار من نختاره لقممنا الشامخة .

فرغ عمر بن الخطاب من جنازة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، واجتمع الناس
لصلاة الصبح ، فقام عمر - ولما تقم الصلاة - يدعو الناس للخروج إلى العراق مع
الْمُثَنَّى بن حارثة الشيباني الذي وفد إلى المدينة مستصرخًا مستغيثًا ، بعد أن اجتمعت
عليه فارس ، وعزمت على إبادة المسلمين ، الذين دخلوا العراق مع خالد بن الوليد ،
الذي أُمِرَ بالذهاب إلى الشام تاركًا الْمُثَنَّى مع بقية جيشه هناك ، ولم يُجِبْ أَحَدٌ ، فقد
كان وَجْهَ فارس أنقل الوجوه على المسلمين ، وأكرهها إليهم ، لشدة سلطان الفرس ، وقوة
شوكتهم ، وقهرهم الأمم . لكن عمر كرر دعوته ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ندب
الناس إلى العراق ، فكان أو من أجاب أبو عبيد بن مسعود التَّقْفِي ، وتتابع الناس

فلما اجتمع جيش كبير قيل لعمر : أَمَرٌ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، أَوْ
الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَاللَّهِ لَا أُوَمِّرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَوَّلَهُمْ إِبَاجَةً . فَكَانَ بَعَثَ أَبِي
عُبَيْدَ أَوَّلَ جَيْشِ سَيَرِهِ عَمْرٍ فِي خِلَافَتِهِ .

والتقى أبو عبيد بالفرس في موضع قريب من الكوفة ، على شاطئ الفرات ، وبعث
قائد الفرس للمسلمين يقول : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا النَّهْرَ إِلَيْنَا وَنَدْعُكُمْ وَالْعُبُورَ ، وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا
نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ . فَهَبِ النَّاسُ أَبَا عُبَيْدٍ عَنِ الْعُبُورِ ، فَلَجَّ وَتَرَكَ الرَّأْيَ ، وَقَالَ : لَا يَكُونُونَ أَجْرًا
عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا . وَفِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ اسْتَشْهَدَ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَاسْتَشْهَدَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَانْهَزَمَ الْجَيْشُ الَّذِي غَرِقَ كَثِيرُونَ مِنْهُ فِي النَّهْرِ . وَقَدْ قِيلَ :

لَقَدْ عَظُمَتْ فِينَا الرِّزْيَةُ إِنَّا جَلَّادٌ عَلَى رَبِّ الْحَوَادِثِ وَالْدَّهْرِ
عَلَى الْجَسْرِ قَتَلَى ، لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِمْ فَيَا حَسْرَتًا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجَسْرِ

إِنْ أَبَا عُبَيْدٍ كَانَ شَجَاعًا مِقْدَامًا ، تَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْوَقَائِعِ الَّتِي صَادَفَتْهُ ، مِمَّا لَا
مَجَالَ لَذِكْرِهِ ، وَلَكِنْ أَكَانَ وَاسِعَ الْحَبْلَةِ ، شَدِيدَ الدَّهَاءِ ، يُقَدَّرُ لِرَجُلِهِ قَبْلَ الْخَطْوِ
مَوْضِعَهَا ؟

ومثل أبي عبيد عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ ، الَّذِي خَرَجَ مِنْ (بُرْقَةِ) مُجَاهِدًا فِي شِمَالِ (أَفْرِيقِيَا) ،
فَاخْتَرَقَهَا صَوْبَ الْحَيْطِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ دَفَعَ حَصَانَهُ فِي الْمَاءِ وَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَرْضًا وَرَاءَ هَذَا
الْبَحْرِ أَصِلُ إِلَيْهَا لَسِرْتُ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . ثُمَّ ارْتَدَّ رَاجِعًا إِلَى مَدِينَةِ (الْقَيْرَوَانِ) الَّتِي
بَنَاهَا ، مُكْبَلًا وَالِي (أَفْرِيقِيَا) السَّابِقِ (أَبُو الْمُهَاجِرِ) بِالْحَدِيدِ لِأَمْرِ نَقْمِهِ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَبَا
الْمُهَاجِرِ لَمْ تَمْنَعِهِ الْكِبُولُ مِنَ النَّصِيحَةِ لِأَمِيرِهِ ، لَقَدْ نَصَحَهُ بِالْإِحْسَانِ لِرُعْمِ الرِّبْرِ
(كَسِيلَةَ) ، فَلَمْ يُقْبَلْ عَقْبَةً ، بَلْ اسْتَخَفَّ بِكَسِيلَةَ وَأَهَانَهُ ، فَحَقَدَ عَلَى عَقْبَةٍ ، وَعِنْدَئِذٍ
طَلَبَ أَبُو الْمُهَاجِرِ مِنْ عَقْبَةٍ أَنْ يُوَثِّقَ كَسِيلَةَ خَشِيَةَ غَدْرِهِ فَلَمْ يَسْتَمَعْ أَبْضًا ، فَلَمَّا سَارَ عَقْبَةً
رَاجِعًا إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا فَوْجًا فَوْجًا ، ثَقَّةٌ مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ
يُخْشَى جَانِبَهُ ، وَسَارَ مَعَ قَلِيلٍ مِنْ رَجَالِهِ إِلَى أَحَدِ الْحَصُونِ ، خَرَجَ عَلَيْهِ (كَسِيلَةُ) فَقَالَ أَبُو

المهاجر، وهو موثق بالحديد : عَاجِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى جَمْعُهُ، فزحف إليه عقبة فتنحى (كسيلة) ليقوى جمعه، فتمثل أبو المهاجر بقول أبي مِحْجَرٍ الثَّقَفِيِّ :

كَمْيَ حَزَنًا أَنْ تَرْتَدِّي الْحَيْلُ بِالْقَنَا وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّا الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ مِصَارِعَ مِنْ دُونِي نُصِمُ الْمُنَادِيَا

فلما بلغ عقبة قوله أطلقه، فقال لعقبة : الحق أنتَ بالمسلمين، وقُم بأمرهم، وأنا أَغْتَنِمُ الشهادة، فلم يفعل عقبة، وقال : وأنا أيضًا أريد الشهادة، وكسر عقبة والمسلمون أَجْفَانُ سيوفهم، وتقدموا إلى البربر، وقتلواهم، فَقَتِلَ المسلمون جميعهم، لَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

لو كانت الأمور بالشجاعة وحدها، وبالإخلاص منفردًا، وبالاجتهاد وحيدًا، لكان عقبة وأبو عبيد خيري قَائِدَيْنِ عرفهما تاريخ المسلمين، لكن تاريخ الحروب يقول مع أبي الطيب المتنبي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةٍ بَلَعَتْ مِنَ الْعَلَيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ

وفي هذا المعنى يقول صاحب كتاب «الإمتاع والمؤانسة» أبو حيان التوحيدي :
وجرى ليلة حديث الرأي في الحرب والحزم والتيقظ، وقلة الاستهانة بالخصم، فقال ابن عبيد الكاتب : أنا استحسن كلامًا جرى أيام الأمين والمأمون، وذلك أن علي بن عيسى ابن ماهان - قائد جيش الأمين - لما تَوَجَّهَ إلى حرب طاهر بن الحسين من بغداد، سأل قومًا وردوا من الرِّيِّ عن طاهر - قائد جيش المأمون - فقالوا : إنه مُجِدٌّ. فقال : وما طاهر؟ إنما هو شوكة من أغصاني، وشرارة من ناري، ثم قال لأصحابه : والله ما بينكم وبين أن يَنْقُصَ انْقِصَافَ الشجر من الريح العاصفة إلا أن يبلغه غُبُورُنَا عَقِبَةَ هَمْدَانَ، لأنَّ السَّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى التَّطَاحِ، وَالتَّغَالِبِ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى لِقَاءِ الْأَسْوَدِ، فَإِنْ يُقِمَّ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرُضٍ لِطَبَّاتِ السِّيُوفِ، وَأَسَنَةِ الرَّمَاكِ .

فقال يحيى بن علي لعل بن عيسى : أيها الأمير، إن العساكر لاتسأس بالتواني ،
والحروب لا تُدبّر بالاغترار ، وإن الشرارة الحفية ربما صارت ضرأماً والتهلة من السيل
ربما صارت بحرأً عظيماً .

ومن عجب أن ابن ماهان هذا حمل معه في خروجه لحرب جيش طاهر بن الحسين
قيداً من فضة ، دفعته إليه زبيدة أم الأمين حيث قالت : إن صار المأمون إليك فقيده
بهذا القيّد ، فقال لها : سأفعلُ مثل ما أمرت . وذكر مشايخ بغداد أنهم لم يروا عسكراً
أكثر رجلاً وأفرة كراعاً وأنتم عدّة وسلاحاً من عسكره ، وسار حتى أتى أول أعمال
(الرّي) - وهو قليل الاحتيال - كما يقول ابن الأثير - وخرج طاهر من (الرّي) للقاءه في
أقل من أربعة آلاف فارس .

إن كُتب التاريخ تروي ما كان من حسن تدبير طاهر ، وقلة احتياط علي بن عيسى
بن ماهان وما ارتكب من حماقة وطيش ، أدّت إلى مقتله ، وانتصار طاهر . ولما ورد خبر
مقتله على الأمين بن الرشيد - وهو يصطاد السمك - قال للذي أخبره : وبذلك دعني
فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً بعد . وهكذا زالت خلافة هذا الأمين
بطيشه وقلة حيلة قائد جيوشه .

ونختم حديثنا بهذا الخبر : حدّث ابن الأعرابي عن هاشم بن سالم - وكان مُسيئاً من
رهط ذي الرمة - قال : أَكَلْتُ حَيَةً يَبُضُّ مَكَاءً ، فَجَعَلَ الْمَكَاءُ يُشْرِشِرُ - يرفرف - على
رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فَنَحَتْ فَأَها تَريده ، وَهَمَّتْ به أَلْقَى فِي فِيهَا حَسَكَةً ،
فَأَخَذَتْ بِحَلَقِهَا حَتَّى مَاتَتْ .

الكويت : محمد علي العبد

(الدكتور) الحمادي.. والعَبَثُ بالثرث

- ١٣ -

٧٦٥ - ص ١٨٩ - :

فَيَا أَبَا مَنْ لَا يُغَيِّرُ وَدَّهُ دَبِيبُ الْعِدَى، أَقْوَالَهَا وَنَمِيمُهَا
أورد المحقق صدر البيت هكذا :

فَيَا أَبَانَا لَا يَغَيِّرُ وَدَهُ !؟

وكتب في الهامش : (هكذا ورد البيت وهو غير مستقيم الوزن، ويحوز : فَيَا آيَا.
أو : فَيَا بَانِيًا، ويقصد : أيا راحلاً. يخاطب الشباب - حتى يستقيم الوزن).

١ - تقدم الكلام على (يا بَابَا) وإن العرب تقول : بَابَا، وَأُمَّا، يريدون : يَا بِي
وَأُمِّي. ومنه في القرآن : ﴿يَاوَيْلَنَا أَعْجَزْتَ﴾ - كما ذكر القراء في كتاب «معاني القرآن»
ص ١٧٦ -

٢ - الشاعر يقصد محبوبته سَعْدَى، فيفديها بأبيه، ويصفها بأن الأعداء لا يغيرون
وُدَّهَا بأقوالهم ونمائمهم، ولا يقصد الشباب، كما توهم المحقق، وسياق الأبيات يدل
على أنه يعني سَعْدَى.

٧٦٦ - ص : ١٩٠ - :

تَكُونُ مِنَ الْأَخْلَاقِ ثُمَّ يُدِيمُهَا
لا كما ورد في المطبوعة : (يكون من الاخلاق).
إذ الضمير يرجع إلى (شيمة) في صدر البيت .

٧٦٧ - ص : ١٩٠ - :

إذا العصا كانت على كل صِيرة

صواب هذا كما في الأصل :

إذا مَا الْعَصَا كَانَتْ عَلَى كُلِّ صِيرَةٍ

٧٦٨ - ص : ١٩٠ - : الرِّجْزُ الذي أوله :

يَأْلَيْتُهَا قَدْ جَاوَزْتُ سُوَاجًا وَعَاقِلًا حَيْثُ انْحَسَى وَعَاجَا

أورد صاحب كتاب «بلاد العرب» الشطر الأول والأخير منه، غير منسوب وكلمة (عَزَلَج) وردت بهذه الصورة في كتاب المهجري في موضعين، في هذا الرجز وفي الكلام على رجب - ص ٢٨ من هذا الجزء.

وورد اسم (عجلز) في غير كتاب المهجري وجمعه (عجالز) في كثير من الكتب، ومنها «معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على حِمَى ضَرِيَّة، وهو منقول عن كتاب المهجري - مما لم يصل إلينا من ذلك الكتاب - فلا أدري هل الصورة الأولى لذلك الاسم (عزlj) لغة فيه، أو هي تحريف (عجلز) ويؤيد هذا ورود الاسم في مصادر كثيرة - ككتاب «بلاد العرب» وكتاب «المناسك» للحرثي، وفي شعر جرير وغيره.

وعجلز ليس معروفًا الآن بهذا الاسم، ويرى أحد الباحثين أنه الموضع المعروف الآن باسم الزُّرَيْبِ عَلَى الضفة الشمالية لوادي الرمة في رمال الغميس جنوب غرب مدينة بريدة - انظر «بلاد القصيم» - ص ١١٠٣ وما بعدها.

٧٦٩ - ص : ١٩٠ - : وكرر المحقق خطأه حين قال في الحاشية : (عزlj قرب

بثار رجب من بلاد هذيل انظر رقم (٥٥) يقصد قوله - ص ٢٨ - : (رجب بالضم موضع في بلاد هذيل) وأحال إلى كتاب «مراصد الاطلاع» ولم يدرك المحقق :

١ - أن الاسم قد يطلق على مسميات عدة.

٢ - أن رجب الوارد في كلام المهجري يقع في أسفل نجد، بعد سُوَاج وعَاقِلِ

ورامتين، وكل هذه المواضع لا تزال معروفة في غرب القصيم.

٣- بلاد هذيل تقع في الحجاز. ورحب الذي من بلادهم بقرب وادي رُهاط شمال مكة. أما رحب الذي ذكره المهجري فيقع في بلاد القصيم، ويرى أحد الباحثين أنه الموضع المعروف الآن باسم (المُدَوِيَّة) وهو جَوَّ واسع، كانت فيه آبار ومزارع، يقع شمال وادي الرَّمَّة بنحو ثلاثة أكيال، في شمال مدينة عنيزة بنحو ستة - انظر «بلاد القصيم» ص ٢٢٢٦ - .

٧٧٠ - ص : ١٩١ - : في شعر أبي عُمَر الزُّهيري - زهير نَهْد - :

يَاطُولُ لَيْلِكَ بِالتُّخَيْلِ فَبَاقِمٌ فَصُدُورُ صَالَةٍ، فالسَّيْلُ الْأَجُوفُ

هذه المواضع في جنوبي نجد، في بلاد بني زُهَيْر الذين لا يزالون باقين في بلادهم الواقعة شرق بلاد عسير، فيما يُعرف الآن ببلاد قحطان، أما المحقق فقد أبعد النجعة حيث قال : (التُّخَيْل - تصغير نخل - اسم عين قرب المدينة، على ستة أميال منها) - ولم يذكر مصدره، وهو «مراسد الاطلاع» الذي ورد فيه عن النخيل غير هذا مما يدل على أن الاسم يطلق على مواضع، لا على موضع واحد.

والواقع أن الموضع الذي بقرب المدينة، والذي له ذكر كثير في المؤلفات القديمة يبعد عن المدينة عشرات الأميال، ولا يزال معروفاً، مسكوناً يقع غرب الحناكية (نخل قديماً) بنحو عشرة أميال، وهو وادٍ يجزعه الطريق المتجه إلى المدينة، وهناك ذو التُّخَيْل - بقرب الرَبْدَة - ورد في كلام المهجري الذي نقله البكريُّ والسمهوديُّ في وصف حِمَى الرَبْدَة، وذو التُّخَيْل في بلاد مَذْحِج، وقد ذكره الهمداني في «صفة الجزيرة» ص ١٦٢ انظر «العرب» س ٩ ص ١٥٣ و ١٥٤ .

ومواضع أخرى تسمى بذى التُّخَيْل - لا يتسع المجال لذكرها.

٧٧١ - ص : ١٩١ - :

وَإِذَا مَلَيْتُ لَجَائِبَ عَنْ جَانِبٍ عَزَّ الْأَسْرُ، عَلَى الْمُنَاخِ الْأَجْنَفِ

لا كما ورد في المطبوعة (عَلَن الْأَسْر).

وَالْعَلَرُ : القَلَقُ والضَجَرُ ، وَالْأَسْرُ : البَعِيرُ المصَابُ بِدَاءِ السَّرِّ ، فهو لَا يَسْتَقِرُّ فِي
الْمَنَاخِ .

٧٧٢- ص : ١٩١ - :

وَعَدَرْتُ بِبِي يَا مُسْتَنِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ لِأَخِي الْخِلَالَةِ بِالْعُدُورِ الْمُقْرِفِ

لَا كَمَا جَاءَ فِي المَطْبُوعَةِ : (بالعدور المعروف).

وَمِنَ التَّطْبِيعِ فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ :

١ - فَهَدِ والصَّوَابُ : نَهْدِ .

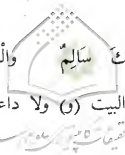
٢ - الْأُسْدِي والصَّوَابُ : الْأُسْدِ .

٣ - يَا مُسْتَنِيرٌ والصَّوَابُ : يَا مُسْتَنِيرِ .

٧٧٣- ص : ١٩٢ - :

إِذَا لَرُحْتَ وَشَعْبُ قَوْمِكَ سَالِمٌ وَالْحَرْبُ سَابِغٌ ذَلِيلَهَا لَمْ يُكْشَفِ

أَضَافَ الْمُحَقِّقُ إِلَى أَوَّلِ الْبَيْتِ (و) وَلَا دَاعِي لِتَغْيِيرِ مَا فِي الْأَصْلِ .

٧٧٤- ص : ١٩٢ - : 

لَكِنْ نَبَتْ بِكَ نَحْوَةٌ وَعَدَاوَةٌ فَجَمَعْتَ بَيْنَ عَدَاوَةٍ وَتَكَلُّفٍ

وَجَاءَ فِي المَطْبُوعَةِ : (لكن نبهها .. لجمعت) خطأ .

٧٧٥- ص : ١٩٢ - :

يَا مُسْتَنِيرٌ لَتَشْرَبَنَّ بِغَيْبِهَا نَعْرًا تَدُرُّ بِهِ الْعَتُومُ وَتَعْطِفُ

وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي المَطْبُوعَةِ كَثِيرَ التَّحْرِيفِ ، مِمَّا لَا أَطِيلُ بِذِكْرِهِ .

٧٧٦- ص : ١٩٢ - :

وَدَعَا أَبُو الْحِجَّاجِ : إِنَّ لَنَا غَدًا وَلَكَ الْعَشِيَّةُ ، فَأَبْرِ نَبْلَكَ وَارْصِفِ

قرأ المحقق البيت : (ودعا الحجاج) وحاول إصلاحه في الحاشية فقال : (اعتقد أن : آن لنا غدا - أسلم للوزن والمعنى)!! والأسلم ما في الأصل لمن أحسن قراءته.

٧٧٧ - ص : ١٩٣ -

أَضْرَاكَ خَوْضُكَ فِي دِمَاءِ مَرْمَضٍ كَفًّا تُشَلِّلُهَا ، وَنَفْسًا تُذْنِفُ
لا كما في المطبوعة : (أغراك حوضك).

أما الحاشية التي وردت في الأصل فصوابها : (مرض : من نهد، دنت وأدنتها جارحها) لا كما جاء في المطبوعة.

٧٧٨ - ص : ١٩٣ -

وَالذَّنْبُ مُعْتَلِقٌ بِجِدِّ الْمُسْرِفِ

لا (معتلف) كما في المطبوعة .

٧٧٩ - ص : ١٩٣ -

صَبَحُوا الْعَيْتَكَ عَلَى تَنَائِي دَارِهَا : هَيِّئْ مَاءَ مَرْقٍ

لا (العتيد .. تنادي) كما في المطبوعة .

٧٨٠ - ص : ١٩٤ -

كَانَتْ مَوَارِثٌ مِنْ جُدُودٍ جُدُودَنَا

لا : (توارث) كما في المطبوعة . وقراءة المحقق خاطئة، ولهذا جاء تعليقه خاطئاً أيضاً . وكذا تفسيره كلمة (أسعد).

٧٨١ - : ١٩٤ -

نَشْنِي بِهَا حَقَّ الْقُوسِ وَنَقْضِي خَسَفَ الدُّحُولِ بِهَا إِذَا لَمْ نُنْصَفِرْ

لا : (الزحول).

٧٨٢-ص : ١٩٤ - :

وَنَجَا الْمُئَيَّرُ، وَلَا الْوَمُ نَجَاءُهُ فِي يَابَعٍ شَمَمٍ بَعِيدٍ الْمُشْرِفِ
لا : (يافع شم).

٧٨٣-ص : ١٩٥ - :

وَنَظَرْتُ بِالْبَصَرِ الْخَسِيسِ إِلَيْهِمْ وَعَلِمْتُ أَنَّ حِسَابَهَا لَمْ يُخْلَفِ
كذا ورد في الأصل، ولكن المحقق وضع (لم) بين قوسين، وكتب في الهامش :
(يجوز : الا يخلف) فكأنه قرأها بجذف (لم) وكلمة (علمت) وردت في المطبوعة :
(عملت) ..

٧٨٤-ص : ١٩٥ - :

لَيْتَ الْمَقَابِرَ يَوْمَ ذَاتِ قُنَائِدٍ جُلَيْتَ، فَتَنْظُرُ نَظْرَةً يَا يُوسُفَ
في المطبوعة : (قنائد) ولكن الهجري يُعْنَى بتسجيل اللهجات ولهذا جاء في هامش
الأصل - مما ورد محرفاً في المطبوعة : (فَتَحَّ السِّنُّ لُغَةً نَهْدٍ) أي في يوسف .
٧٨٥-ص : ١٩٦ - :

قَسَمَ الْمَشْطَبُ شَعْبَ هَامَةِ رَأْسِهِ ... كِفْضَا ضَ هَيْضِ الْعَلْفِ
- كذا في الأصل : ويستقيم البيت بإضافة كلمة : (فتطايرو) في أول العجز .
٧٨٦-ص : ١٩٦ - :

مِلْ أَنْ حَدَّثَ مَا أَرَدْتَ مُحَلَّلًا إِنَّ شَيْئًا فَاصْدُقْهُمْ، وَإِلَّا فَاخْصِفْ
ولا داعي لإيراد ما جاء في المطبوعة من التحريف .
وفي هامش الأصل على كلمة (فاخصف) : (الكذب).
(للحديث صلة)

الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

(... / ١٣٨٥ هـ)

[في عام ١٣٤٩ هـ دخلت (المعهد السعودي) بمكة المكرمة ، فَأَلْحَقْتُ بِـ (قسم التخصص) وأُكملت الدراسة فيه متخصصاً في القضاء ، وكان من مشايخي الذين يقومون بالتدريس في المعهد الأستاذ الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة ، وكان رحمه الله مع سعة علمه بالحديث النبوي ، وبتفسير القرآن الكريم وهما العلمان اللذان كان يقوم بتدريسهما - على جانب عظيم من الإلمام بالثقافة الحديثة ، يكثر مطالعة كتبها ، ويبحث الطلاب على الاطلاع على الصحف ، وقد يتولى تدريس بعض العلوم الحديثة في غياب مدرستها كالإنشاء ، فيختار الكتابة في موضوع ذي صلة بالحياة مثل (أثر البريد المنظم في الحياة العامة) وقد يقرأ على الطلاب بعض المقالات التي تتعلق بدراساتهم ثم هو مع ذلك على درجة عظيمة من التواضع ، ذو طلعة يطفح على محياها السرور ، وتبرز سمات الساحة والطيبة ، بحيث كان محبباً إلى الطلاب ، ذا أثرٍ في اتجاه كثير منهم لدراسة بعض العلوم العصرية التي كان يُنظر إليها من بعض العلماء نظرة ارتياب كـ (الجغرافية) و(الفلك) .

وكنت ممن قويت صلته بالشيخ ، فلا أكتفي باجتماعي به أثناء الدرس ، بل أحضر دروسه في الحرم ، بقراءة الشيخ سليمان الصنيع في أحد كتب الحديث المعروفة ، وأجتمع به بعد العصر في (حجرة الساعات) من الحبر التي كانت ملحقة بالحرم ، وقد استعير منه بعض الكتب أو الصحف ، وقد استشيرته في بعض شؤوني الخاصة .

ثم فرَّق بيننا الزمان ، بحيث لم أعلم بانتقاله إلى الدار الباقية إلا بعد ذلك بسنتين حين عُدتُ من بيروت بعدما ابتليت به من محن وخطوب وقد طلبت من الأخ الكريم الأستاذ أحمد علي الكاظمي - وكان ذا صلة قوية بالشيخ - أن يُتَحِفَ قراء مجلة «العرب» بترجمته فأفضل مشكوراً بها] :

ولد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في قرية كفر عامر التابعة لمركز (بها) بمصر وينتهي نسبة إلى الرسول الكريم أي أنه من سلالة آل الرسول وكان من خلقه وطبعه عدم ذكر شيء عن نسبه ، لأن مبدأه وعقيدته التي عاشها طوال حياته أن الأنساب لا ترفع أحداً وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وشجرة نسبه تحتفظ بها أسرته .

وقد تَرَبَّى في وسط ريبي بين أبوين كريمين ، تغلب عليهما السباحة والوداعة ، والبعد عن التعقيد ، والصراحة في القول والعمل ، وعدم التهرب من الواقع والحقيقة ، وما إلى ذلك مما يفرضه عليه الوسط الريبي القروي من خلال هي في جملتها خير الخلال وأفضل السيات ...

وكذلك كان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رحمه الله تعالى - في حياته وظل كذلك حتى بعد أن انتقل إلى الحاضرة ، وعاش في القاهرة بين صَحْب المدينة ، وزخرفة الحضارة ، ومعاصرة أصحاب الثَّرَف من الطبقات (الاورستقراطية) مع هذا كله لم تتغير خصال الشيخ ، وانطباعاته ولم يَحِدْ عن خلقه في السباحة والمسألة والصراحة ، والتمسك بمكارم الأخلاق وصفات أهل الورع والتقوى .

دراسته وتحصيله :

لقد تلقَّى المبادئ الأولى من القراءة والكتابة والقرآن الكريم في كُتَّاب القرية وكانت تلك المبادئ إعداداً لما بعدها من مراحل العلم ، وحقول المعرفة والتوسع في جوانب الدراسة الدينية والعربية والرياضية ...

وكان الأزهر في أرض الكنانة هو حلم كل والد ، وأمنية كل إنسان عنده ولد ، فمتى بلغ الولد سن القبول في الأزهر ، وتوفرت فيه الشروط المطلوبة في طلبته ، كحفظ القرآن ، ألحقه أبوه بالأزهر ، وكان ذلك مفخرة له ولولده - فيتدرج الطالب في علوم الدين واللغة العربية ، وما تتطلبه هذه العلوم من أصول وفروع ، لتقوية الثقافة الإسلامية ، وتضخيم رصيد الطلاب من المعرفة ، حتى يصبح المتخرج منه علامة لا يُشَقُّ له غبار في ميدانه ... وكذلك كان الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة أحد أولئك

الذين دخلوا الأزهر في عهد شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري ، وكان مشايخ الأزهر في تلك الأيام فطاحل في المجال العلمي والتحقيق ، وكان الشيخ محمد عبد الرزاق قرعاً لتلك الأصول القوية ، ومتقدماً على أقرانه كما كان معروفاً بحضور البديهة ، دؤوباً على التحصيل والغوص في بحر المسائل العلمية العويصة وحلها بتحقيقه والإفادة منها .

التحاق الشيخ بدار الدعوة والإرشاد :

كان السيد رشيد رضا - رحمه الله - أنشأ مدرسة باسم (دار الدعوة والإرشاد) لبعث الفكرة الإسلامية ، وإحياء السنة المحمدية ، وبث روح الدعوة الإسلامية في المتحقيقين بها ، وتكوين جماعة صالحة لنشر العقيدة السلفية الصحيحة في آراء مستقلة .

ورافت فكرة هذه المدرسة للشيخ محمد عبد الرزاق فالتحق بها بعد تخرجه من الأزهر ، للاستزادة من الثقافة الإسلامية المتطورة ، المتمشية مع الكتاب والسنة - وذلك سنة (١٣٤٠ هـ) وكانت دراسته في هذه الدار باكورة اشتغاله بالسنة النبوية ، والعكوف عليها عكوف العارف المتمكن ، والعالم الذي له ملكة الاستنباط والمقارنة ، ولا يتمايزه على زملائه طلاب دار الدعوة والإرشاد توثقت الصلة بينه وبين مدير الدار السيد رشيد رضا - رحمه الله - وصار من المتشبعين بفكرته في التحرر من التقليد الأعمى ، دون معرفة الدليل للمسائل العلمية الدينية ، والأخذ بهدى السنة المطهرة دون بحث عن رأي فقيه ، أو التماذهب بمذهب ولو كان فيه مخالفة صريحة للسنة المطهرة ، وهذا التقليد هو الذي ذمه حتى الأئمة الأربعة أنفسهم ، وقد ثبت عنهم جميعاً قولهم - مع اختلاف في الالفاظ (إذا صح الحديث فهو مذهبي).

وفي دار الدعوة والإرشاد وعلى مقاعد الزمالة فيها تعرف الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بالشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، الداعية إلى الله ، والذي أُوذِيَ في الله لصلابته في التمسك بالحق ، وشدة إنكاره على البدع ورواسب الوثنية ، ولكنه خرج من كل ذلك مرفوع الرأس موفور الكرامة ، وأحسن الله له المخرج من بينهم ، فاختير لإمامة المصلين بالمسجد الحرام أمام الكعبة المشرفة ، خير بقاع الدنيا .

وكانت معرفة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة بالشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح
بدار الدعوة والإرشاد ثم توثقت الصلات بالمصاهرة بينهما .

نشاط الشيخ محمد عبد الرزاق في القاهرة :

لم يطل أمد انتظام الشيخ محمد عبد الرزاق في مدرسة دار الدعوة والإرشاد ، إذ
قامت الحرب العظمى الأولى وتأزمت الأمور ، وانقطعت المساعدات المالية التي كانت
تُموّل المدرسة من جانب حكام مصر ، تشجيعاً منهم وتقديرًا للخطوة الموفقة التي
خطتها ، وكانوا يرجون من ورائها الإصلاح ونشر العلم .

وأخيرًا توقفت المدرسة ، إلا أنها تركت أثرًا صالحًا في طلبتها ، فأصبحوا دعاة إلى
فكرتها ، وانصارًا للإصلاح الذي كانت تهدف إليه من تصحيح العقائد ، وتنوير
الأذهان ، لأخذ الدين من معينه الصافي الوحيين : كتاب الله وسنة رسوله ...

هذا ولم تنقطع صلات الشيخ محمد عبد الرزاق بمؤسس (دار الدعوة والإرشاد) السيد
رشيد رضا وأخذ يلزمه في إدارة مجلته الإسلامية «المنار» وكان السيد رشيد رحمه الله
يعهد إليه بتحقيق بعض الكتب الإسلامية ، التي تطبع في مطبعة مجلة «المنار» لنشر الوعي
الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات كما كان - أي الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة - يوالي
نشر مقالات هادفة في بعض المجالات التي تُعنى بالناحية الأخلاقية ومحاربة الفساد
كمجلة «مكارم الأخلاق» المصرية .

انتقاله إلى الحجاز :

وفي عام ١٣٤٤ هـ قصد الشيخان محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ عبد
الظاهر محمد أبو السمح مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وكان جلالة الملك عبد العزيز
آل سعود (ملك الحجاز وسلطان نجد كما كان لقبه يومئذ) حاجًا فاتصلا بجلالته مع
العلماء القادمين من العالم الإسلامي ، وتكررت اللقاءات مع جلalته فعرف الكثير عن
نشاطها وقيامها بالدعوة السلفية في مصر ، وعرض عليها الانتقال إلى مكة المكرمة
لإمامة الحرمين الشريفين ، والقيام بخطابة الجمعة ، والتدريس فيها .

وبناء على الرغبة الملكية السامية انتقل الشيخان بأهلها وأولادهما إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) وأصدر الملك عبد العزيز أمره الكريم بتعيين الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السمح إماماً وخطيباً ومدرساً في الحرم المكي ، وتعيين الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إماماً وخطيباً ومدرساً بالحرم النبوي .

نشاطه في المدينة المنورة :

كان للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في خطب الجمع والتدريس في الحرم النبوي جولات واسعة ، في الإصلاح الديني ، والتوجيه الهادف ، ومعالجة الأدواء الاجتماعية ، كما فتح دروساً صباحية ومسائية في الحرم النبوي في الحديث والتفسير والتوحيد ، وكان لكل ذلك الأثر الطيب في نفوس الشباب المثقف.

انتقاله إلى مكة المكرمة :

لم تطل إقامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في المدينة فنُقِلَ إلى مكة المكرمة في غصون سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) مدرساً في الحرم المكي ، ومساعدًا للشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح في إمامة الحرم والخطابة .

في المعهد العلمي السعودي :

كما عهد إليه في التدريس في المعهد العلمي السعودي ودروسه في المعهد لم تكن مقتصرة على المواد الدينية ، بل قام بتدريس العلوم الرياضية كالحساب والهندسة والجبر ومبادئ المثلثات .

دروسه في الحرم المكي :

واستأنف - رحمه الله - نشاطه العلمي الإرشادي في مكة ، بفتح دروس للعامة بين العشائين ، وبعد صلاة الفجر في الحرم المكي الشريف ، في التفسير والحديث بطريقة غير مألوقة للناس ، وذلك بعدم التقيد بكتاب معين ، فكان يقرأ الآية غيباً ثم يبدأ في تفسيرها بما وهبه الله من سعة الاطلاع وسرعة استحضار أقوال السلف مكثفياً في ذلك

بالصحيح الثابت ، المأثور من الأقوال والروايات ، وبهذه الطريقة أكمل مراراً تفسير القرآن الكريم ، وفي الحديث أكمل قراءة «الصحيحين» وشرحها على طريقة تفسير القرآن ، وكانت حلقات دروسه ملتقى أجناس شتى من أهل مكة والوافدين إليها ، ونفر كثير من أهل جدة كانوا يحضرون على دروسه ، كلما جاءوا إلى الحرم - ولم تكن دروسه تخلو من طُرفٍ علميةٍ أو نوادر أدبية ، دفعاً للسأم ، وترويحاً لنفوس المستمعين على عادة العلماء الأقدمين الأذكياء .

وإذا تعرض لآراء الفرق المنحرفة من القدماء أو العصريين شرح للمستمعين انحرافاتهم ، ثم يبداء في نقض آرائهم بطريقة علمية منطقية سهلة ، يرتاح إليها الحاضرون ، ويصفون إليه ، وكأنَّ على رؤوسهم الطير .

دروسه الخاصة :

وكان للمرحوم دروس خاصة لأفراد من راغبي العلم في حجرته بباب علي في الحرم الشريف وكانت تعرف بـ (قبة الساعات) وهذه الدروس كانت تشمل اللغة العربية : النحو والصرف والبلاغة ، وأصول التفسير وأصول الحديث ، والرياضيات كالجبر والهندسة والفلك ، ولم تكن دراسته لعلم الفلك على الطريقة القديمة (الربع المجيب) بل كانت على الطريقة الحديثة - وقد ساعدته معرفته بمبادئ اللغة الانجليزية للاستفادة بالتقويم الفلكي السنوي ، الذي تصدره (البحرية الملكية البريطانية بلندن) ونشرات (البحرية الأمريكية) عن حركات النجوم ومطالعها .

فكرة تأسيس مرصد فلكي في مكة :

وولعه بهذا الفن دفعه إلى فكرة تأسيس مرصد فلكي صغير ، على رأس جبل أبي قبيس ، بمكة المكرمة ، للاستعانة بآلاته في إثبات رؤية الهلال لشهر رمضان ، ورؤية هلال ذي الحجة لتحديد وقفة عرفات وعيد الأضحى ، وعرض الفكرة على الملك سعود بن عبد العزيز ، فوافق - رحمه الله - وأصدر أمره على (وزارة المالية) ببناء غرفة خاصة للمرصد على قمة جبل أبي قبيس كما ساعده في جلب بعض آلات الرصد وفي

مقدمتها (تلسكوب) ولكن - مع الأسف - لم يكتب للفكرة الظهور إلى الوجود عملاً ،
نظراً لغرابتها .

مدرسة دار الحديث :

كان الاهتمام بالحديث وكتبه ودراسته ودراسة فنونه في مقدمة ما كان يحرص عليه
الشيخان الجليلان الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمع ، والشيخ محمد عبد الرزاق
حمزة ، وبناء عليه قام الاثنان بتأسيس (دار الحديث بمكة المكرمة) سنة ١٣٥٠ هـ
(١٩٣١ م) بعد الاستئذان من جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقد رحب جلالتـه
بالفكرة ، ووعدهما بالمساعدة في كل ما يحتاج إليه هذا المشروع .

وتم افتتاح هذه الدار تحت إدارة الشيخ عبد الظاهر أبي السمع ، وعُهد إلى الشيخ
محمد عبد الرزاق حمزة بأن يكون مدرساً أولاً بها ، واختير لها كذلك نخبة من العلماء
المشتغلين بالحديث وعلومه للتدريس بها .

وبذل الشيخ محمد عبد الرزاق مجهوداً كبيراً في رفع مستوى طلاب الدار في علوم
الحديث ... وكان معظم طلابها يومئذ من المحاورين ، وبعد سنوات تخرج منها عدد لا
بأس به ، فرجعوا إلى بلادهم بأفريقيا وآسيا دعاءً إلى الله ، وهداة إلى سنة رسوله كما تولى
كثير منهم المناصب الدينية الرفيعة في بلادهم .

انتداب الشيخ للتدريس في أول معهد علمي أقيم بالرياض :

وفي سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) تأسس في الرياض أول معهد علمي تحت إشراف
سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - وانتدب
الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة للتدريس به في مادة التفسير والحديث وفروعها ، وقد
وجد طلاب المعهد في شيخهم المنتدب كنوزاً من المعرفة ، تجمع بين القديم والجديد ،
وكثيراً ما كانت دروس الحديث والتفسير تتحول بالأسئلة والمناقشة إلى علم الجغرافية
والهندسة والفلك وآراء المذاهب القديمة والجديدة في هذه العلوم ...

واستمر انتدابه سنة واحدة تقريباً ثم عاد إلى مكة المكرمة عند أهله وأولاده

إحالة إلى التقاعد :

وبعد جهاد علمي متواصل ، وخدمة للعلم في مختلف مجالاته ، ونشر للمعرفة بكل الوسائل وبعد الأثر البارز الملحوظ الذي تركه - رحمه الله - في كل من الحرمين الشريفين ، بلغ الشيخ السن القانونية التي يحال فيها الموظف على التقاعد - وهي الأربع والستون من العمر - صدرت الإرادة الملكية إلى سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بإحالة على التقاعد بكامل راتبه . وقد وجه الشيخ محمد عبد الرزاق بهذه المناسبة مذكرة إلى سماحة رئيس القضاة قال فيها :

صاحب الساحة فضيلة رئيس القضاة سلمه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، جواباً على مذكرة سماحتكم رقم (٥٢٢٨) في ١٣٧٢/٧/١ هـ أفيد سماحتكم بما يأتي :

١ - أبعث إلى سماحتكم صورة مذكرتكم رقم (٤١٥٨) في ١٣٧٢/٥/١٤ المبلغة إلي منكم بإرادة جلالة الملك عبد العزيز المعظم بإحالي على التقاعد بكامل راتي بدون قيد ولا شرط ولا حوالة على نظام أو غيره .

٢ - قد بلغت حوالي (٦٤) عاماً لأني من مواليد (١٣٠٩ هـ).

٣ - خدمت الحكومة السعودية أكثر من (٢٧) سنة من تاريخ ١/ ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ هـ.

٤ - تقلبت في وظائف الحكومة من التدريس في الحرم المكي والمعهد السعودي بمكة إلى الإمامة والخطابة والتدريس ومراقبة الدروس بالمسجد النبوي ، إلى التدريس بالحرم المكي ، ومعاونة إمام الحرم المكي الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح وخطيبه والتدريس بالحرم المكي .

٥ - وقد تقاضيت من رواتب الحكومة (١٥) جنيهاً ذهبياً شهرياً .

ومن خصوص الإجازة الصيفية منحنيها جلالة الملك المعظم بلا قيد ولا تحديد ، وقد عدت منها يوم ٢٥ صفر ١٣٧٢ هـ ، وأخطرت بذلك يومئذ ديوان جلالة الملك .

لقد أحبل الشيخ محمد عبد الرزاق إلى المعاش بَيِّدَ أن أحداً لم يَدْرِ بذلك غير أقاربه - أما الطلاب الذين كانوا يدرسون عنده ، والذين يجتمعون في حلقات درسه الصباحية والمسائية فلم يجدوا أو يشعروا بأي فرق في مجالس دروسه في الحرم الشريف وفي حجرته ، بل زاد نشاطه في ذلك ، وزاد عدد الطلاب عنده ، كما شاهد المتصلون به زيادة اهتمامه في التأليف والتعليقات على الكتب وكتابة المقالات في المجالات .

مرضه ووفاته :

وفي الأيام الأخيرة أي منذ سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥م) أصيب رحمه الله بعدة أمراض وفي مقدمتها «الروماتزم» وكان بقوة توكله على الله يتجلد ويقاوم تلك الأمراض ، وأخيراً انتابته الحالة النفسية التي أجبرته على الانطواء على نفسه، وعدم الخلطة بالناس ، والاكتماء بالمطالعة وقراءة الكتب . ثم تفرغ لتلاوة القرآن والصحف أحياناً ، جالساً أو مضطجاً في البيت أو في غير بيته .

وقد دخل مستشفيات مكة المكرمة والطائف للاستشفاء ، ثم سافر إلى بيروت وتعالج في مستشفى الجامعة الأمريكية ، أياً وأخيراً سافر مع ابنه الأستاذ عبد الله حمزة إلى تركيا ودخل في مستشفى من مستشفياتها المشهورة أياً ثم عاد إلى مكة واشتدَّت عليه وَطْأَةُ الأمراض ، فأصبح من سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) ملازماً للفراش وأخيراً وافاه الأجل المحتوم فاستقبل ربه في الساعة الثامنة بالتوقيت الغروي من يوم الخميس ١٣٩٢/٢/٢٢ هـ (١٩٧٢م) وصُلِّيَ عليه في الحرم الشريف بعد صلاة المغرب ، ودفن بالمعلا - رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه الفردوس .

مؤلفاته وأثاره العلمية :

- ١ - كتاب الصلاة ويعتبر كموسوعة مصغرة لموضوع الصلاة ، فقد جمع فيه كل ما يتعلق بالصلاة وأنواعها (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠ هـ) ٢٠٠ صفحة .
- ٢ - كتاب الشواهد والنصوص في الرد على كتاب «هَذي هي الاغلال» (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٠٠ صفحة .

٣ - «رسالة في الرد على بعض آراء الشيخ الكوثري» (مطبعة الإمام بالقاهرة ١٣٧٠ هـ) ٧٢ صفحة.

٤ - كتاب «ظلمات أبي رية» (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٨ هـ) ٣٣١ صفحة .

٥ - الإمام الباقراني وكتابه «التمهيد» في رسالة جمعت بحثه وبحث الشيخ بهجت البيطار والشيخ يحيى المعلمي - رحمهم الله - مطبعة الإمام بالقاهرة .

هذه هي مؤلفاته واثم كتب نشرها بعد تصحيحها والتعليق عليها وهي :

١ - «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر طبعة مكة المكرمة (١٣٤٩ هـ).

٢ - «رسالة التوحيد للإمام جعفر الباقر» دار العباد بيروت (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) .

٣ - «مورد الظمان إلى زوائد ابن حبان» المطبعة السلفية بالقاهرة (١٣٥١ هـ) .

٤ - «الباعث الحثيث إلى فن مصلح الحديث» المطبعة الماجدية بمكة المكرمة (١٣٥٣ هـ) .

٥ - «الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية» المطبعة السلفية بمكة المكرمة (١٣٥٠ هـ) .

٦ - «رسالة الطلاق لشيخ الإسلام ابن تيمية» دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة (١٣٤٢ هـ) .

٧ - «الكبائر» للذهبي . مطبعة الإمام بالقاهرة (١٣٧٣ هـ) .

٨ - «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» اشترك في تحقيقه وتصحيحه مع الأساتذة الشيخ محمد حامد الفقي، والأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) .

٩ - ومن الرسائل التي ألفها ولم تطبع رسالة «الله رب العالمين في الفطر والعقول والأديان»

وقد نشر منها رحمه الله فصولاً في مجلة «الحج» بمكة المكرمة .

رحمه الله رحمة الأبرار وجعل الفردوس مثواه .

أحمد علي أسد الله الكاظمي

مكة المكرمة

مَعْدِنِ ضَنْكَانَ

[انظر عن هذا المعدن مجلة «العرب» ص ٢ ص ٩٠٧]

ليست الصدفة وحدها كانت سبب زيارتي لمعدن ضنكان فحسب ، فلقد ورد ذكر ضنكان في عدة مراجع من كتب التاريخ والمعاجم الجغرافية لما يحتويه من ثروة معدنية مضى عليها أكثر من ألف عام ، وهي ترقد في سبات على أرض ضنكان ذات اللون الذهبي الفصفاض بين مناجم أثرية منهمة ، تنتشر على مهد فسيح من الأرض عُرِفَ عند أهله بـ (حَبِيلِ الصوامع) - يفتح الحاء وكسر الباء آخره لام وإضافة ما بعده إليه - يقدر طوله بحوالي كيلين في عرض كيل ونصف ، يحفه من جهتيه الغربية والجنوبية وادي ضنكان ، ومن الشرق شعب الظهيرة وقرون العركبة ومن الشمال وادي الأثلة من روافد وادي ضنكان .

ولقد تجولت بين أنقاضه المنهمة وشاهدت مصانعه الكبار والتي لم يبق من معالمها سوى أساساتها المظمورة بين الأنقاض ودخلت المصنع الكبير الواقع في الجهة الجنوبية الغربية ومسحت أرضه فوجدت طوله يبلغ ثمانية وثلاثين متراً في عرض ثلاثين متراً ولا زالت أقطاره من الجهات الأربع ماثلة تعلو فوق أنقاضه المنهمة بحوالي متر سباً في قطريه الشرقي والشمال كما وجدت في ركنيه الجنوبي والشرقي موقدين مبنيين بالحجر والجص المحكم وطول كل واحد منها خمسة أمتار في عرض مائل وشاهدت أحواضاً للتكرير في الجهة الجنوبية عن الموقد الغربي أو قل الفرن الغربي ، والفرن كلمة تركية معربة وقد أصبحت لغة دارجة لهذا فالتعبير بها جائز ، وهذه الأحواض لا تزيد مساحة كل واحد منها على المتر ، وهذه الأحواض منتشرة حول هذه الأفران ويحيط بالمصنع الكبير من جهتيه الغربية والجنوبية عدة مصانع كبار لا تقل أهمية عن المصنع الكبير ، وشاهدت

عدة أساسات لأبنية محكمة البناء تقع في الساحة الجنوبية عن المصنع الكبير ، داخلها كانت غرقاً لسكنى عمّال ذالك المنجم غير أنها لا تدرك إلا بتأمل لاختلافاتها بين الانقراض كما شاهدت بين أنقاض هذا المنجم وحول مداخله خيبت الحديد المحروق وكسر الآنية الفخارية وعصارة الطين الذهبي المحروق وقوالب الآجر وغيرها من هذه الأنواع المادية بكثرة .

وتنتشر بقية الأفران والمصانع على سطح هذا المنجم بشكل متقطع هنا وهناك منها الكبير ومنها الصغير.

وكان يرافقني في هذه الرحلة أحد أبنائي الصغار وقد جلس في السيارة ، وكنت أعهدده كثير الحركة فقلت له : مالك لا تنزل من السيارة . فقال : إنه عطشان وقد قابلنا شخصاً اسمه حسن بن محمد ناشب من أهل بادية ضنكان طلب منا استضافته فاعتذرنا منه بلطف ، وكان حسن ناشب هذا حسن الطبع كريم الأخلاق رغم أنه بدوي البيئة يتوقد ذكاء وحيوية حاول خدمتنا في كل شيء ولكننا حاولنا إعفاءه من كل شيء ما عدا الماء فهو معدوم في منطقة ضنكان وأخبرنا حسن قائلاً : إنه يوجد في مجرى وادي ضنكان خلف المنجم من الغرب بئر مطمورة لم يبق منها سوى فوهتها مطوية بالحجر والجص بناؤها محكم ، يقال : إنها تابعة للمنجم ، هكذا حدثنا حسن عن بئر ضنكان.

والجص مادة معروفة من الحجر الأبيض الخشن يسمى الحُورَم - بفتح الحاء - يُحرق بالنار في أفران خاصة به حتى يذوب ثم يصب عليه الماء عندئذ يصبح بعد هذا العمل مسحوقاً صلباً كالأسمنت ، ويظهر أن هذه البئر المظمورة هي التي كانت تغذي هذا المنجم بالماء ويا حبذا لو أُعيرَ هذا المنجم بعض العناية من قبل المسؤولين في إدارة الثروة المعدنية إحياء لماضيه العتيق .

موضع ضنكان الجغرافي :

ضنكان من ضواحي القحمة الشرقية الشمالية ، ويقع في أعلى وادي ذهبان من الشرق ، بحيث يبعد عن مَصَبِّ وادي ذهبان في البحر في الاتجاه الشرقي بحوالي ثلاثين

كيلا كما أنَّ ذهبان يقع شمالي مدينة (القحمة) بخمسة عشر كيلا بالتحديد المعلوم ، ويحدُّ
ضنكان من الشرق سلسلة جبال شاهقة تأتي امتداداً لسلسلة منحدرات تهامة عسير ،
ومن الشمال حرَّة بني هلال المعروفة قديماً بحرة كنانة ، ومن الغرب وادي ذهبان ، ومن
الجنوب الجبال المطلّة على وادي أئمة الوارد ذكره في «صفة جزيرة العرب» للهمداني .

ولضنكان مدخلان : الأول يأتي عبر وادي ذهبان ، ولكنه غير مسلوّك في الوقت
الحاضر لأسباب السيول التي جرفته في الأشهر الماضية . المدخل الثاني وهو الأبعد من
الجنوب عبر وادي حمضة فوادي أئمة ، ويبعد عن موقع ضنكان تسعة وخمسين كيلا
وكلا الطريقين غير مُهَدَّتين كما أنَّ مدخل وادي حمضة يقع على بعد سبعة أكبال عن
مدينة القحمة في الجنوب ، في مقابلة جبل (كُدَيْل) الراسي في البحر .

أما مدخل وادي ذهبان فيقع على بعد خمسة عشر كيلا شمال القحمة .

وقد عملنا خارطة تقريبية للمنطقة لايضاح موقع منجم ضنكان . (انظر الخريطة
ص ٥٢٠) .



ضنكان في التاريخ :

ورد ذكر ضنكان في عدة مراجع تاريخية وجغرافية منها ما يلي :

١ - جاء ذكر ضنكان في حرف الضاد من «معجم ما استعجم» للبكري لكن بعبارة
خاطفة كما جاء أيضاً في حرف الحاء من المعجم نفسه . عند ذكر الحارث حيث قال : حرة
بني هلال بن عامر بالبرك والبرك بطريق اليمن التهامي من دون ضنكان و ضنكان قرية .
والملاحظ على كلام البكري من وجهين الأول : أنَّ ضنكان ليس بقرية بل هو
منطقة مقفرة لا أثر للحياة القروية فيه وسكان ضنكان من كنانة .

ثانياً : أنَّ الحرة التي أورد ذكرها بالبرك هي حرة كنانة كما أورد ذكرها الهمداني وهو
أعرف بأهل جهته وأنسابهم وسيأتي كلام الهمداني عن ذكر الحرة المذكورة بوضوح .

٢ - جاء في «معجم البلدان» للحموي في حرف الضاد عن ضنكان ما يلي :
ضَنكَان - بالفتح ثم السكون ثم كاف آخره نون - وهو وادٍ في أسافل السراة ، يصبُّ في البحر ، وهو من مخاليف الين وكلام الحموي فيه اطلاق حيث لم يحدد موقع ضنكان.

٣ - جاء في «صفة جزيرة العرب» للهمداني وصف دقيق لموقع ضنكان بعد ذكره الأودِيَّةِ المجاورة له من الجنوب وهي وادي ريم فوادي عَرَمَرَم فوادي زنيف المعروف في هذا العصر بوادي نَهَب - بفتح ثم سكون - فوادي العمود ، وهذه الأودية الواقعة جنوب ضنكان تنحدر سيولها من جبال رجال ألمع الشرقية ، ثم ذكر بعدها شمالاً بلد حرام من قبيلة كِنانة المشهورة فقال : ثم بلد حرام من كنانة وهو وادي أُمّة وضنكان ، وهو معدن غزير ولا بأس بتره ، والحرّة حرّة كنانة والمعدن وحلي .

قلت : وهذه المواقع لازالت تحمل اسماءها حتى الآن ، ومن تأمل كلام الهمداني عن ذكر ضنكان وما جاوره من الجنوب والشمال لا يَبْثِي لديه الشكُّ بجمالاً عن تحديد موقع ضنكان.

وبنو حرام قبيلة كنانية صريحة إذ هم أبناء حرام بن ملكان بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقد أولد ملكان بن كنانة ستة أبناء هم : حرام وثعلبة وسعد وأسيد وغنم وعتيق ومن هذه البطون الستة تفرعت بطون بني ملكان بن كنانة.

وموطن كنانة الرئيس بتهامة ، حلي بن يعقوب ، وكان لكنانة في صدر القرن السابع الهجري ، إمارة قوية بتهامة وعاصمتها في حلي بن يعقوب إجلالها الصحارية التي أورد اسمها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وفي عصرنا هذا يطلق على محل رؤساء كنانة اسم (مخشوش) وهم الرأس في حلي ، وكانت تلك الإمارة تمتد أحياناً إلى المخلاف السلياني منطقة (جازان) وأميرها يطلق عليه سلطان حلي ، وقد ورد اسمه في عدة مراجع يمنية ، وامتدحه بعض الشعراء بقصائد منهم ابن هُتَيْمَل وقد أورد اسمه الرحالة ابن بطوطة في رحلته المشهورة حيث قال : وسلطان حلي عامر بن دُؤَيْب الكتاني وهو من الفضلاء الأدباء الشعراء صحبته من مكة إلى جدة وكان قد حج ، ولما قدمت إلى مدينته أنزلني

وأكرمني، وأقت في ضيافته أياماً وركبت البحر في مركب له فوصلت مدينة الشرجة - إلى آخر ما ذكر - .

وبطون كنانة لازالت في مواقعها القديمة التي أوردها الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» تمتد من حلي بن يعقوب جنوباً حتى الشُّقَيْق وشرقاً إلى محائل وخميس البحر، ورجال المع وفروع كنانة كثيرة وأغلبها بادية من المنجحة بنو حرام. ومن فروعها المشهورة آل معيوف ، وآل العوض ، وآل خريص ، وقبيلة المقبة والمقحزة. وهذه البطون من بني حرام ابن ملكان بن كنانة. وقد يدلون أداة التعريف فيلفظون هذه المسميات هكذا : آل امعوض ، آل امحمض ، آل امخريص ، امقبة، امقحز، وهذه لهجة حميرية قديمة. وبنو حرام كنانة المنجحة تسكن القحمة وضواحيها، والقحمة لها ذكر في بعض المراجع القديمة، وقد أتى الرحالة ابن بطوطة على بعض سكانها أثناء مروره بسواحل تهامة في معرض الثناء على أبناء الهلبي ساكني الشرجة حيث قال : ولا يماثلهم في الكرم إلا الشيخ بدر الدين النقاش الساكن ببلدة القحمة فله مثل ما لهم من الإيثار .

ومن بطون كنانة بني حرام الكبار آل ختارش، وختارش هذا ينطوي تحت مسماهُ عدة بطون منها الشواعة سكان بحر بن سكيبة وآل مرضي وآل مسهر وبنو صبح وبنو هلال وغيرهم من بطون كنانة المنتشرة بتهامة وإخال أن آل موسى القبيلة المشهورة بقضاء محائل إخالها من كنانة بدليل أن بعض افخادها الكبار لازال ينتمي إلى قبائل حلي بن يعقوب موطن كنانة الرئيس، وهم آل فاطمة وبدليل المجاورة والمخالطة إذ أن قبيلة آل موسى تمتد إلى جنوب حلي بن يعقوب وهم الصوالحة وبدليل ما أشار إليه أبو محمد الحسن بن محمد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» عند أغوار بني الحَجَر حيث قال : ومن أوديتها الغورية فُرْشاط ، صدوره حَجَرِيَّة واسافله عديبة من كنانة .

وقبيلة آل موسى تنساح على جوانب وادي حلي الذي يرفده فرشاط ومرة حتى بني ذئب من آل موسى ودارس في أسافل هذه الأودية، وارضيتهم تمتد إلى حلي بن يعقوب .

ولا يضاهي قبيلة كنانة بالكثرة قبيلة أخرى بتهامة إلا أن هذه القبيلة تكاد تكون

معجم المطبوعات السعودية

بين الأديب و (البليوجرافي)

في شهر محرم ١٣٩١ هـ بدأت مجلة العرب في نشر (معجم المطبوعات في المملكة العربية السعودية) الذي أعده الدكتور علي جواد الطاهر من العراق الشقيق، واستمر نشر المعجم في ٥٦ حلقة ظهرت الحلقة الأخيرة منها في العدد الصادر في الربيعين ١٤٠٣ هـ من المجلة. وهذا المعجم عمل (بليوجرافي) أو بمعنى أدق دراسة (بليوجرافية) للمطبوعات السعودية منذ بداية الحكم السعودي للحجاز ١٣٤٤/١٩٢٥م مع أنه حاول جمع بعض المطبوعات التي ظهرت قبل هذا التاريخ. أما الحد الزمني الذي يقف عنده فهو ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، مع أنه تجاوز هذا التاريخ في بعض الحالات التي رأى ضرورة



مكتبة الملك عبدالعزيز

مجهولة على التاريخ لتوغلها في البداوة وأغلبها لا يعرف انتماءها إلى قبيلة كنانة ولا تسع هذه الكلمة لأكثر مما أوردنا.

فلنعد إلى ضنكان في الأبيات الشعرية التالية :

حَمَلُ الْعِلْمِ ذَكَرُ ضَنْكَانَ دَهْرًا	اِثْرُ دَهْرٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ بَعِيدٍ
ضَمُّ ضَنْكَانٍ مَأْثِرَاتِ كِرَامٍ	شَاهَدَاتٍ بِكُلِّ مَعْنَى مُجِيدٍ
سَأَلُوا تَبْرَهُ وَمَنْجَمَهُ الْغَضُّ	مَاذَا دِهَاءُ عَبْرَ الْعُهُودِ
فَالِى الثَّرْوَةِ الْمَعْدِنِيَةِ أَرْجِي	بِاسْمِهِ دَعْوَةٌ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ
جَدِّدْنِيهِ وَنَقِّيْ فِي طَوَايِا	هُ الْخَبَايَا وَاسْتَطْلِعِي وَاسْتَرِيدِي
فَنَ الْحَقِّ أَنْ يَصَانُ تَرَاثُ	وَرِثَتِهِ أَبَاؤُنَا عَنْ جَدُودِ

ابها : هاشم بن سعيد النعمي

معجم المطبوعات السعودية

بين الأديب و (البليوجرافي)

في شهر محرم ١٣٩١ هـ بدأت مجلة العرب في نشر (معجم المطبوعات في المملكة العربية السعودية) الذي أعده الدكتور علي جواد الطاهر من العراق الشقيق، واستمر نشر المعجم في ٥٦ حلقة ظهرت الحلقة الأخيرة منها في العدد الصادر في الربيعين ١٤٠٣ هـ من المجلة. وهذا المعجم عمل (بليوجرافي) أو بمعنى أدق دراسة (بليوجرافية) للمطبوعات السعودية منذ بداية الحكم السعودي للحجاز ١٣٤٤/١٩٢٥م مع أنه حاول جمع بعض المطبوعات التي ظهرت قبل هذا التاريخ. أما الحد الزمني الذي يقف عنده فهو ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، مع أنه تجاوز هذا التاريخ في بعض الحالات التي رأى ضرورة



مكتبة الملك عبدالعزيز

مجهولة على التاريخ لتوغلها في البداوة وأغلبها لا يعرف انتماءها إلى قبيلة كنانة ولا تسع هذه الكلمة لأكثر مما أوردنا.

فلنعد إلى ضنكان في الأبيات الشعرية التالية :

حَمَلُ الْعِلْمِ ذَكَرُ ضَنْكَانٍ دَهْرًا	اِثْرُ دَهْرٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ بَعِيدٍ
ضَمُّ ضَنْكَانٍ مَأْثِرَاتِ كِرَامٍ	شَاهِدَاتٍ بِكُلِّ مَعْنَى مُجِيدٍ
سَأَلُوا تَبْرَهُ وَمَنْجَمَهُ الْغَضُّ	مَاذَا دِهَاءُ عَبْرَ الْعُهُودِ
فَالِى الثَّرْوَةِ الْمَعْدِنِيَةِ أَرْجِي	بِاسْمِهِ دَعْوَةٌ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ
جَدِّدْنِيهِ وَنَقِّيْ فِي طَوَايِا	هُ الْخَبَايَا وَاسْتَطْلِعِي وَاسْتَرِيدِي
فَنَ الْحَقِّ أَنْ يَصَانُ تَرَاثُ	وَرِثَتِهِ أَبَاؤُنَا عَنْ جَدُودِ

ابها : هاشم بن سعيد النعمي

لها مشيراً إلى هذه الحالات باسم (فائدة).

وقد استطاع الدكتور الطاهر القيام بهذا العمل بفضل إقامته في المملكة عدة سنوات. حيناً كان يعمل أستاذاً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود. ولا شك أن هذا العمل يستحق كل شكر وتقدير، لأنه يعتبر مساهمة كبيرة في حصر ودراسة الإنتاج الفكري في هذا البلد المبارك. وقد تبعت ما نشر في هذا المعجم ولم أشأ أن أنشرها في هذا الوقت. ولكن بعد ما قرأت ما كتبه الدكتور منصور الحازمي عن هذا المعجم في زاويته الأسبوعية (مواقف نقدية) في الرياض الأسبوعي بتاريخ الجمعة ١١ جمادى الثانية ١٤٠٣ هـ وجدت من المناسب أن ابدي رأيي حول هذا العمل مع التركيز على النقاط التالية :

- الثناء على العمل لا يعني السكوت على ما فيه من ضعف أو أخطاء .
- المنهجية التي اتبعت في إعداد وتنظيم المعجم .
- الإشارة إلى بعض جوانب الضعف والأخطاء.
- نظرة (البليوجرافي) إلى المعجم والفرق بينها وبين نظرة الأديب.
- إعادة نشر المعجم .

ما كتبه الدكتور الحازمي اقتصر على الإطراء والمديح لهذا العمل، ولم يتطرق إلى جوانب أخرى في المعجم، سواء من حيث الشمول أو الإعداد والتنظيم أو الأخطاء. ويبدو أنه أعطى هذا الحكم من خلال قراءة المقدمات، الأولى والثانية، مع أنه ركز بشكل خاص على المقدمة الثانية .

وأنا بدوري لا استكثر الثناء على هذا العمل الذي يستحق كل تقدير، ولكن هذا لا يعني أن يقتصر دور الناقد على هذا المستوى. فكان أولى بالدكتور الحازمي أن يستعرض هذا العمل. ويوضح جوانب القوة والضعف فيه، وهو قادر على ذلك، خاصة وأن المعجم كتب بأسلوب أقرب إلى وجهة نظر الأدباء أكثر من كونه عملاً (بليوجرافياً).

النقد الموجه إلى المعجم ينحصر بشكل خاص في المنهجية والاختطاء. وبالنسبة للمنهجية فإن لها أهمية كبيرة في أي عمل لأن الاستفادة منه تتأثر بالمنهجية متمثلة في صعوبة أو سهولة استخدامه من قبل الباحثين فيه، لأن أي عمل إنما يعد أو يؤلف للاستفادة منه من قبل الآخرين. بمعنى أنه لا يكفي أن يعرف المؤلف خفايا عمله ويتقن بسهولة البحث فيه، بل إن مقدار النجاح يتحقق بمقدار الاستفادة الآخرين منه بسهولة.

ولا شك أن المعجم ثروة علمية ولكن الاستفادة منه لا تتحقق بسهولة. بسبب ضعف المنهجية وهذا يعني أن العمل بحاجة إلى إعداد وتنظيم أفضل. وإلى عناية بتصحيحه وتنقيحه. وهو بهذا الوضع يشبه غرفة مليئة بالكتب والوثائق ولكنها مكدسة بطريقة لا تجعل البحث فيها يتم بسهولة، مما يستدعي إعادة تنظيمها وجعلها سهلة الاستخدام توفر وقت الباحث وجهده.

في مقدمة الحلقة الأولى من المعجم أشير إلى أن المنهجية المتبعة تقضى بترتيب المطبوعات هجائياً حسب أسماء المؤلفين (س ٥٥ ع ٧ محرم ١٣٩١ هـ ص ٦٧٨) إلا أنه لم يلتزم بهذا الترتيب في كل الأحوال، حيث ظهرت أربع حلقات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ (رمضان وشوال ١٤٠٠ إلى الربيعين ١٤٠١) خصصت للطباعة والمكتبات والصحافة. وفي استعراضه لهذه المواضيع جاء على ذكر العشرات بل المئات من المطبوعات التي ظهرت هنا في غير موقعها من الترتيب الهجائي. ولا شك في أهمية المعلومات التي قدمت عن هذه المواضيع، ولكن الاعتراض ينبع من التداخل بين الدراسة للحركة الفكرية في المملكة وبين حصر المطبوعات. ولست أقصد بهذا أن يكون المعجم مجرد حصر للمطبوعات خالياً من الدراسة والتحليل والاستنتاج ولكن أقصد أن تكون المنهجية واضحة أمام القارئ بحيث يمكنه الاستفادة من المعجم والبحث فيه بسهولة. ويمكن تفادي التداخل بين الحصر والدراسة بجعل المعجم من قسمين :

الأول قائمة (ببليوجرافية) مرتبة هجائياً حسب المؤلف مع محاولة وضع كشف هجائي للعنوان.

* الثاني دراسة للحركة الفكرية أو الأدبية في المملكة مستنتجة من الحصر

(البليوجرافي).

ولإيضاح المزيد عن المنهجية المتبعة في المعجم نجد في الحلقة ٥٠ المخصصة للصحافة (الربيعان ١٤٠١ هـ) إنه تم حصر ٤٣ جريدة سعودية ، وفي هذا مخالفة للمنهجية التي وضعت من البداية من جانبين :

الأول أنه جاء في مقدمة الحلقة الأولى إنه استبعد الجرائد والمجلات ومع ذلك حصر العشرات منها .

والثاني : إن المعجم سار في بدايته بترتيب هجائي وكان من الأفضل أن ترد الصحف حسب ترتيبها الهجائي على اعتبار أن الجريدة تعرف باسمها وليس باسم المؤسسة أو الشخص الذي يصدرها أو يرأس تحريرها .

ومن الانتقادات الأخرى أن المعجم تعمد حصر كثير من المطبوعات أو المؤلفات تحت اسم المطبعة أو المكتبة . فعند ذكر المطبعة الاميرية التي ظهرت في الحجاز قبل الحكم السعودي مثلاً ذكر العديد من الكتب التي طبعها . المشكلة أو الصعوبة هي كيف يعرف القارئ أن هذه الكتب تحت اسم المطبعة مع أنه يعرف أن المعجم مرتب هجائياً بأسماء المؤلفين .

وهذا يوحي بشيء من التناقض في المنهجية ، فجزء من المطبوعات في ترتيب هجائي ، وجزء آخر مقسم موضوعياً أو شكلياً (المكتبات ، المطابع ، الصحافة) أليس من الأفضل توحيد أسلوب التنظيم والالتزام به ؟ وحتى لا نطيل الكلام عن المنهجية نحاول التعرف على بعض جوانب الضعف .

ومنها بعض الأخطاء وهي لا تعني حصراً كاملاً بها وإنما هي بعض الدلائل التي نحاول تصحيح مسار المعجم وهي بالتأكيد لا تقلل من قدره وأهميته واحتياج الباحثين إليه وإلى غيره من الأعمال المفيدة . ومن هذه الجوانب :

١ - ادخل مؤلفات بعض الأشخاص من غير السعوديين . ومنهم محمد محمود الصواف وقال عنه بأنه عراقي كالسعودي . وفي رأيي أنه لا يجوز إدخال مؤلفات غير

السعوديين حتى ولو كان للمؤلف صلة قوية بهذه البلاد لأن كل عمل له مجال وحد يقف عنده .

٢ - لم يلاحظ الاختلاف في عنوان العمل الواحد ويذكر العنوان الآخر وكأنه مطبوع آخر مثال ذلك (احصاءات التجارة الخارجية) و(نشرة احصاءات التجارة الخارجية) س١٧ ص٥٣٥ - ٥٣٦) وهما عمل واحد .

٣ - ظهرت بعض الاخطاء الشكلية التي تتمثل في زيادة أو نقص في كلمات العنوان مثل (ملخص عام لاحصاءات وزارة التجارة الخارجية) (س١٧ ص٥٣٥) والعنوان الصحيح بدون كلمة وزارة .

٤ - في حالات كثيرة يجمع المؤلفات تحت اسم الناشر أو الطابع مثال المطبعة الماجدية (الحلقة ٤٧ ص ٢١٩ - ٢٢١).

المطبعة الأميرية (الحلقة ٤٧ ص ٢٢٢ - ٢٢٦).

وهذه الطريقة غير مناسبة للتعرف على المطبوعات لأن الكتاب ينسب إلى مؤلفه وليس إلى الناشر أو الطابع . وإذا كان المقصود هو دراسة إنتاج المطابع ودورها في تشجيع ودفع الحركة الفكرية فليس من الضروري أن تدرج كل المؤلفات في هذا الموقع من المعجم بل يمكن الإشارة إلى أعمال المطابع والناشرين كمّاً وكيفاً ، على أن يتم ذكر المطبوعات في مكانها من الترتيب الهجائي للمعجم .

٥ - نقلت بعض المعلومات من مصادر (ببليوجرافية) دون التحقق من صحتها ولذا وقع فيها وقعوا فيه من أخطاء. فثلاً نقل عن شكري العناني (مجلة الإدارة العامة) س١٧ ع ١١ ، ١٢ ص٨٥٨) وتكرر هذا العمل بعنوان آخر (الإدارة العامة) ص٨٥٦ وهما عمل واحد كما نقل من فهرس المطبوعات الحكومية ، بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بمجلة مطبوعات نسبت خطأً إلى هيئات حكومية وهي من اصدار هيئات حكومية أخرى. فقد نسب إلى وزارة المعارف مثلاً بعض الأعمال التي تخص الرئاسة

العامّة لتعليم البنات مثل (الدليل الاحصائي لتعليم الفتاة السعودية) .

٦ - في بعض الحالات يصف مجموعة من المطبوعات بوصف عام. فقد سجل مثلاً عددًا من التقارير التي صدرت باسم وزارة التجارة والصناعة وعلق عليها مجتمعة بقوله: (اكثر التقارير من إعداد شركة ارثر دي ليتل ثم اتحاد المهندسين الاستشاريين الباكستاني ، ومنها ما تزيد صفحاته على المئة (س١٧ ع ٥ ، ٦ ص ٣٩٧) فهذا الوصف العام لا يفيد لأن من الضروري أن يحدد مع كل تقرير الجهة أو الشركة التي أعدته ويحدد عدد صفحاته .

٧ - ينسب بعض المطبوعات الرسمية إلى الأفراد. فجريدة أم القرى يأتي ذكرها تحت اسم يوسف ياسين ومعها العبارة التالية (اصدرها لأول مرة يوسف ياسين) فلا يجوز أن تنسب إليه ولو شغل رئاسة تحريرها فترة من الزمن .

٨ - ظهر بعض التكرار في المطبوعات ويرجع هذا التكرار إلى اختلاف صيغ العنوان أو مدخل الهيئة. وهناك تكرار من نوع آخر يتمثل في تكرار عنوان المطبوعات الدورية وخاصة السنوية مع كل اصدارة، فيكفي وجود العنوان مرة واحدة وتحت الأعداد أو السنوات التي صدر فيها .

٩ - لوحظ بشكل ملفت للنظر اقتطاع أو حذف جزء من العنوان للمطبوع إذا تكرر مع عنوان قبله مثل كلمة نشرة أو تقرير أو خارطة. وهذا يسبب إرباكًا للقارئ أو سوء فهم ، فقد يعتقد أن الجزء الباقي هو العنوان الكامل. ولذا فإن من المناسب كتابة عنوان المطبوع كاملاً وعدم الاعتماد على العنوان المشابه له.

وبما أن المعجم كان حصيلة عمل كبير قام به أحد كبار الأدباء فقد حاول أن يظهر بأنه ليس عملاً (ببليوجرافياً) كذلك (الببليوجرافيات) التي يعدها المكتبيون. إلى هنا والمسألة طبيعية لأن كل إنسان يعمل في إطار معرفته وتخصصه. إلا أنه تردد في المعجم ما يؤكد تفوقه على أساليب (الببليوجرافيين) وتميزه عنها مع شيء من الانتقاد لاساليب (الببليوجرافيين). وهنا أجد من المناسب إيضاح وجهة نظر المكتبي حول هذا المعجم

وقبلها تعرف على وجهة نظر الأديب بشيء من التفصيل .

في المقدمة الأولى جاء قوله (إن المعجم الذي أعده ليس معجماً مكتبياً، ولهذا فلم أوزعه أبواباً على طريقة (ديوى) ولم اكتف بالحفاف المكتبي)، (س ٧ ع ٧ محرم ١٣٩١ هـ ص ٦٧٨) وقال من موقع آخر : (هذا ليس معجماً مكتبياً بالمعنى الدقيق للبيولوجرافيا س ١٤ ع ٣٤، ص ٢٠٩) وعندما تحدث الدكتور الطاهر عن معجم المطبوعات السعودية الذي وضعه شكري العناني وهو أحد المكتبيين، أشار إلى بعض جوانب النقص النقص والضعف فيه مُعلِّلاً ذلك بعدة أسباب منها أن الذي وضعه مكتبي يكتبي بخارج الأشياء (الحلقة ٣٧ ص ٤٣٤) .

وقد أُعْجِبَ الدكتور منصور الحازمي بهذا الأسلوب أو الطريقة حيث قال (ولا يحتاج الطاهر إلى أن يدل على منهجه، ففي خاتمته ما يدل على تمرد الأديب الناقد بالمنهجية الضيقة لمعظم من يسمون بالأكاديميين وبآلية البيولوجرافيين).

يفهم من هذه الأقوال وصف أسلوب المكتبيين في الإعداد والتنظيم (البيولوجرافي) بأنه عمل آلي جاف يتعلق بخارج الأشياء مبتعداً عن الجوهر. إلا أن هذا التصور غير صحيح. فالمكتبي ليس ضيق الأفق ولا يتمسك بالشكليات. وإنما ينظر إلى الجوهر وإلى الوسائل السهلة الحديثة التي توصل القارئ والباحث إلى المعلومات .

إن ما يميز الأساليب الحديثة (للبيولوجرافيين) هي المرونة والدقة وعدم الاعتماد على طريقة أو أسلوب معين. فليس من الضروري أن يستخدم تصنيف (ديوى) أو غيره من التصنيف، وليس من الضروري أيضاً التطبيق الحرفي لقواعد التهرسة. فيكفي مثلاً أن يكون أساس التنظيم الترتيب الهجائي باسم المؤلف أو العنوان أو يكون التنظيم حسب التقسيم الموضوعي، المهم أن تكون الطريقة سهلة الاستخدام، وواضحة المعالم، وثابتة لا تتغير من موقع إلى آخر من العمل .

فالمكتبي يهدف إلى جعل العمل (البيولوجرافي) سهل الاستخدام، ولكن مع الأسف أن البعض لا يدرك هذا فيتصور أن المكتبي يقوم بعمل آلي، ولا يدرك لذة البحث في

المصادر جيدة الإعداد والتنظيم إلا من يقارنها بغيرها من الأعمال، رديئة التنظيم. حيث يصرف الباحث وقتاً وجهداً في البحث وقد يجد وقد لا يجد المعلومات التي يريدها.

الاختلاف بين وجهة نظر الأديب والمكتبي بشأن التنظيم (البليوجرافي) يجعلنا نتساءل: هل (البليوجرافيون) يعملون لأنفسهم فقط حتى يقال عن المعجم: إن هذا ليس عملاً (بليوجرافياً)؟! إلى متى ونحن نعيش ونؤمن بهذا الفصل الحاد بين مجالات العمل للمتخصصين في مختلف العلوم!!

فعلم المكتبات والمعلومات ظهر في العصر الحديث نتيجة للزيادة الهائلة والمستمرة في إنتاج وإصدار أوعية الفكر من الكتب والمجلات وغيرها من المطبوعات، وأصبح من الصعب السيطرة على هذا الكم الهائل من المطبوعات. ولهذا ابتكر المكتبيون من الوسائل والاساليب الحديثة ما يمكن من حصر وتنظيم المطبوعات بطرق سهلة لخدمة الباحثين.

مشكلة علم المكتبات والمعلومات وخاصة في الدول النامية أن الكثير من الباحثين تعودوا على طرق قديمة ولا يرضون بغيرها بديلاً. ويلقى باللوم بشكل خاص على أساليب وطرق التدريس وخاصة في الجامعات. لأن الطالب إذا لم يتعود في أثناء دراسته على الطرق الحديثة للبحث في المصادر بما فيها استخدام (البليوجرافيات) والكشافات والمستخلصات فإنه سيقى بعد تخرجه بعيداً عن إدراك أهمية جودة الإعداد والتنظيم (البليوجرافي).

نعود إلى نظرة المكتبي إلى المعجم. فهو بحكم قيامه بحصر المطبوعات السعودية يعتبر عملاً (بليوجرافياً) وبحكم احتياج الباحثين للرجوع إليه فيجب أن يتم تنظيمه بطريقة جيدة تسهل استخدامه. وبما أن المؤلف لم يقتصر على الحصر بل ربطه بدراسة عن الحركة الفكرية في هذه البلاد فإن الصعوبة تكمن في تداخل الدراسة مع الحصر (البليوجرافي) بطريقة تجعل من الصعب البحث فيه. وبمعنى أدق: نقطة الضعف الرئيسية هي المنهجية، وارجو أن لا تعتبر المنهجية الجيدة من الشكليات. وقد اشرت في هذا المقال إلى ضرورة فصل الدراسة عن الحصر. ومن الأعمال الرائدة في هذه المنهجية كتاب الأستاذ يحيى محمود ساعاتي بعنوان «حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية».

وادي رشاد في بلاد جهينة

سائلان كريمان هما دخيل الله بن عوض بن سلمان وقالط بن عوض بن سلمان، الجُهَيْنَانِ، كتب إليَّ بما مُلَحَّصُهُ : سؤالنا عن قرية المُكَلِّيحِ وبالذَّاتِ عن وادٍ يقال له رشاد، ماهو سبب تسميته بهذا الاسم. وهذا الوادي يقع شمال المدينة المنورة، ويَتَّصِلُ بوادي الحمض. فما اسم القديم لقرية المُكَلِّيحِ، وقد عرفنا من آبائنا أن اسمها (أبيار نصيف)؟.

«العرب» : أما الاسم القديم لقرية المُكَلِّيحِ فليس بين يَدَيَّ من المصادر ما يُوَضِّحُهُ، وكانت تعرف باسم (أبيار نصيف) في القرن الماضي - كما في كتب رحلات الحج مثل كتاب «مرآة الحرمين» وقبله رحلة محمد بن عثمان السنوسي التونسي الذي حج سنة ١٢٩٩ هـ - انظر «العرب» س ١٣ ص ٢٩١ - فقد مرَّ بها وسماها (آبار نصيف).

مكتبة جامعة القاهرة

إعادة نشر المعجم سوف يكون لها فائدة كبيرة لأنه بوضعه الحالي مشئت في ٥٦ عددًا من مجلة «العرب»، وليس من السهل على كل الأفراد والمكتبات الحصول على كل هذه الأعداد في هذا الوقت بالذات، كما أن نشره في عمل مستقل سوف يمكن من نقله وتداوله على نطاق أوسع. ولكن ليس من الصواب تجميع هذه الحلقات ونشرها في كتاب بالكيفية التي ظهرت بها في المجلة، ولكن من الأفضل مراجعته لتصحيح ما ظهر فيه من أخطاء والنظر قدر المستطاع في المنهجية، ولا شك أن إعادة نشر هذا العمل سيلقي المزيد من الترحيب من جمهور الباحثين بما فيهم الأدباء والمكتبيون.

الرياض الأسبوعي (ع ٥٤٦٦/٢٢ شعبان ١٤٠٣ هـ) : ناصر محمد السويديان

وأرى أنَّ اسمها القديم هو مُرّ - بالميم المضمومة بعدها راءٌ مشدّدة، فقد ذكر المتقدمون من العلماء أنَّ رسول الله ﷺ أقطع عوسجة بن حرملة بن جذيمة بن سبرة الجُهَنِيَّ، من رِفَاعَةٍ، أقطعه ذَا مُرٍّ، وأمره على ألف رجل من جهينة «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٤١٧ - الطبعة الأولى - ومُرٌّ هذا ذكر الحازمي في كتاب البلدان «أنه وادٍ من بطن إضَمٍّ، وقيل : هو بطن إضَمٍّ. وإضَمُّ هو وادي الحمض .

هذا الذي أراه استنتاجاً من كون الموضع معموراً منذ عهد قديم، وقد تكون هناك صلة بين كلمة (المُمَيْلِيح) و(مُرّ) هي أن الماء في هذا الموضع ليس عَذْباً .

أمَّا وادي رشاد، فيرد في بعض المؤلفات القديمة باسم (رشد) ولعل هذا ناشئ عن كون بعض الكتاب يحدفون حرف الألف من بعض الأسماء مثل (الرحمن) و(الحرث) و(اسحق) ونحوها .

وقد ذكر ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» وغيره أنَّ بني غَيَّان بن قيس بن جُهَيْنَةَ وَفَدُوا على رسول الله ﷺ فقال لهم : «أَنْتُمْ بَنُو رَشْدَانَ» وكانَ وادِيهِمْ يُسَمَّى غَوًى فَسَمَّى رَشْدًا .

ويَحْسَنُ أَنْ نُوردَ هنا أسماء بعض المواضع التي لها صلة بهذا الوادي، لعل من بين الإخوة القراء من يُوضِّح ما يعرفه منها مشكوراً :

الأَجْرَدُ : قال الهجري : الأجرد أحدُ جبلي جُهَيْنَةَ، والثاني الأشعرُ، وإليها تُنسب أوديتهم .

والأجرد : مما يلي بُوَاطَ الجَلَسِيِّ، وهما بَوَاطَان .

فن أودية الأَجْرَدِ التي تَسِيلُ في الجَلَسِ : مَنَكَّةُ، وهي تلقاء وادي بُوَاط .
وبلي مَنَكَّةَ رَشَادُ . وهو يَصُبُّ في إضَمٍّ، وكان اسمه غَوًى، فيما تزعم جُهَيْنَةُ، فسمَّاه رسول الله ﷺ رَشَادًا، وهو لبني دُبَّارٍ إخوة الرِّبْعَةِ .

وبلي رَشَادًا الحَاضِرَةُ، وبها قبر عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد

الرحمن بن عوف، وهي عين لهم .

ويصب على الحاضرة البلي، وفيه نخل، وهو لمحمد بن إبراهيم اللهيبي.

ثم يلي الحاضرة تَدَد، وبه عيون صغار: عين لعبد الله بن محمد بن عمران الطلحي، ويقال لها أَدِينَة، وهي خير ماله، والظليل لمبارك التركي .

وعيون تَدَد في أسنان الجبال .

ومن أودية الأجرد التي تصب في الغور هزر، وهو لبني جشم، رهط من بني مالك وفيه يقول أبو ذؤيب :

«أكانت كليله أهل الهزر» ؟

ومن مياه جهنم بالأجرد، بئر بني سباع، وهي بذات الحري، وبئر الحواتكة، وهي يزقب الشيطان، الذي ذكره كثير فقال :

كَانَ أَنَسًا لَمْ يَحِلُّوا بِتَلْعَةٍ فَيَضْحُوا، وَمَعَنَاهُمْ مِنَ الدَّارِ بَلْقَعُ
وَيَمُرُّ عَلَيْهَا فَرَطٌ عَامِنٌ قَدْ خَلَتْ وَلِلْوَحْشِ فِيهَا مُسْتَرَادٌ وَمُرْتَعٌ
مَغَانِي دِيَارٍ لَا تَزَالُ كَانَتْهَا بِأَصْعَدَةِ الشَّطَّانِ رَيْطٌ مُضْلَعٌ

وهو بالمنصف بين عين بني هاشم التي يملل، وبين عين إضم . - انتهى كلام الهجري . -

أَدِينَة : وادٍ تقدم ذكره .

البلي : لم أر من ذكره سوى الزمخشري نقل عن السيد علي، في أودية القليلة البلياء، وضبط ياقوت هذا بفتح الباء وإسكان اللام. أما البلي فقد ورد في «معجم ما استعجم» - كما تقدم في وصف الأجرد - وأصل الكلام للهجري، وإن لم يُصرَّح البكري بذلك .

بُوط : قال الهجري - في كلامه على الأشعر جبل جُهَيْنَةَ المعروف الآن باسم (الفُقْرَة) :

ويحذاء الأشعر من شقه الجبالي وادي الروحاء .

ومن شِقِّه الشامي بواطان : النُورِيُّ، والجُلْسِيُّ، وهما جبلان متفرقا الرأسين، أصلها واحد، وبينهما ثنية سلكها رسول الله ﷺ في غزوة ذي العُشَيْرَةِ من يَنْبُع ، فأهل بواط الجلسي بنو دينار موالي بني كليب بن كثير، وكان دينار طبيباً لعبد الملك بن مروان، وهم إخوة الربعة من بني جُهَيْنَةَ . وهو يلي مِلْحَتَيْن . انتهى .

وغَزَوَ بُوط من الغزوات النبوية، ذكرها ابن هشام في «السيرة» فنقل عن ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ غزا في شهر ربيع الأول - في السنة الثانية - يريد قُرَيْشاً حتى بلغ بُوطاً من ناحية رَضَوَى، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْدًا .

ثم ذكر بعدها غزوة العُشَيْرَةِ من بَطْنِ يَنْبُع .

ومِلْحَتَانِ الواردتان في كلام الهجري من أودية القَبِيلَةِ بالأشعر، مما يلي ظَلَمَ من شِقِّه الشامي، وهما ملحَة الرُمثْ وملحَة الجريص بها شعب ضَبُّقٌ يحرص الإبل - أي يشق جلودها -

ووادي بواط يجتمع سيله بسيول أودية المدينة بعد انحدارها واجتماعها بوادي ملل بندي خُشْبٍ وظلم والجُبَيْنَةِ، ثم يلقاها وادي ذي أوان ودوافعه من الشرق، ويلقاها من الغرب بواط والحَزَار، ويلقاها من الشرق وادي الأثمة، ثم تمضي في وادي إضم حتى يلقاها وادي برمة الذي يقال له ذو البيضة من الشام، ويلقاها وادي ترعة من القبلة ثم يلتقي هو ووادي العِصْرِ من القبلة، ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حجر، ووادي الجزل، الذي به السُقْيَا والرَّحْبَة، في نخيل ذي المَرَوَةِ مُعَرَّبًا، ثم يلقاه وادي عَمُودان في أسفل ذي المَرَوَةِ، ثم يلقاه وادٍ يقال سفان حين يفضي إلى البحر عند جبل يقال له أراك، ثم يدفع في البحر من ثلاثة أودية اليعوب والنتيجة وحقيب - انتهى من «وفاء الوفاء»

الشُّطَّانُ :

أورد ياقوت : الشُّطَّان - بضم أوله وسكون الطاء ثم ألف مهموزة ونون - وادٍ من أودية المدينة، قال كثير :

مَعَانِي دِيَارٍ لَا تَزَالُ كَانَهَا بِأَفْنِيَةِ الشُّطَّانِ رَيْطٌ مُضَلَّعٌ
وَأُخْرَى حَبَسَتْ الرِّكْبَ يَوْمَ سُوَيْفَةٍ بِهَا وَأَقْفًا، أَنَّ هَاجَكَ الْمُتَرَبِّعُ
هِنَكَةَ :

من نَكَثَ يَنْكُثُ إِذَا نَقَضَ - من أودية القَبِيلَةِ يَسِيلُ مِنَ الْأَجْرَدِ ، جَبَلٍ جُهَيْنَةٍ، فِي الْجَلْسِ، وَيَلْقَى بَوَاطًا : «وفاء : ٣٧٩/٢».

وكذا نقل ياقوت عن الزمخشري، عن السيد عليٍّ وقد رأيته في كتاب الزمخشري وهو يُعَرِّفُ القَبِيلَةَ - عن الشريف علي - غير مضبوط، ولكن اتفاق ياقوت والسمهودي على ضبطه يدل على أنه تصحف على البكري الذي سماه (مبكتة) بالباء بدل النون .
هَزْرُ :

لم أر من ذكر هذا من مواضع الأجرد . وبيت أبي ذؤيبٍ أوردته ياقوت في (هزر) ولكنه لم يذكر أنه في الأشعر، بل ذكر أنه في بلاد هُدَيْلٍ كما ذكر أنه قد يقصد به اسم وقعة قديمة .

تَيْدَدُ :

أورد السمهودي «وفاء : ٢٧٢/٢» ما نُصِّهُ : تَيْدَدُ : من أودية الأَجْرَدِ جَبَلٍ جُهَيْنَةٍ، بلي وادي الحاضر (كذا) به عيون صغار، خيرها عين أذينة، وعين يقال لها الضليل، وعيون تَيْدَدُ كلها تدفع في أسنان الجبال، فإذا أُسْهِلَ بِغِرَاسِهَا لم يُنْجِبْ

ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤)

- ٢١ -

١٨٨ - بابُ جُرُودٍ ، وَخُرُونٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بفتح الجيمِ وبراءَينِ مُهْمَلَتَيْنِ - : نَاحِيَةٌ مِنْ مِصْرَ^(٢) .
وأما الثاني - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بعدها رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وَبَعْدَ الْوَاوِ نون - :
نَاحِيَةٌ مِنْ دَارِابَجَرْدٍ ، كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ لِلْخَوَارِجِ^(٣) .

مختار من أسماء المواضع

زَرَعُهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهَا وَكَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ ، ذَمَّهَا ، وَقَالَ : هِيَ فِي جَبَلٍ فَقَالَ ﷺ :
« لَا أَسْهَلْتُ تَبَدُّدَ » فَلَمَّا أَسْهَلَ مِنْهَا فَلَا خَيْرَ فِيهِ . نَقَلَهُ الْهَجَرِيُّ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مَزِينَةَ ، فِي
شَيْءٍ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جُهَيْنَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

فَإِنْ تُشْبِعُوا مِنَّا سَبَاعَ رُوَاوٍ فَإِنَّ لَهَا أَكْنَافَ تَبْدَدَ مَرْتَعَا
ونقل الزمخشري عن السيد عليّ : تبتد : هو المعروف بِأَذْيَنَةَ ، وفيه عَرَضٌ فِيهِ النَخْلُ
من صدقات رسول الله ﷺ نَحَلَهَا فَاطِمَةُ - ذَكَرَهُ فِي أَوْدِيَةِ الْقَبْلِيَّةِ .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤)

- ٢١ -

١٨٨ - بابُ جُرُودٍ ، وَخُرُونٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بفتح الجيمِ وبراءَينِ مُهْمَلَتَيْنِ - : نَاحِيَةٌ مِنْ مِصْرَ^(٢) .
وأما الثاني - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بعدها رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وَبَعْدَ الْوَاوِ نون - :
نَاحِيَةٌ مِنْ دَارِابَجَرْدٍ ، كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ لِلْخَوَارِجِ^(٣) .

مختار من أسماء المواضع

زَرَعُهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهَا وَكَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ ، ذَمَّهَا ، وَقَالَ : هِيَ فِي جَبَلٍ فَقَالَ ﷺ :
« لَا أَسهَلْتُ تَبَدَّدَ » فَلَمَّا أَسهَلَ مِنْهَا فَلَا خَيْرَ فِيهِ . نَقَلَهُ الْهَجَرِيُّ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مَزِينَةَ ، فِي
شَيْءٍ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جُهَيْنَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

فَإِنْ تُشْبِعُونَا مِنَّا سَبَاعَ رُوَاوٍ فَإِنَّ لَهَا أَكْنَافَ تَبَدَّدَ مَرْتَعَا
وَنَقَلَ الزَّخَشَرِيُّ عَنِ السَّيِّدِ عَلِيِّ : تَبَدَّدَ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَذْيَنَةٍ ، وَفِيهِ عَرَضٌ فِيهِ النَّخْلُ
مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحَلَهَا فَاطِمَةُ - ذَكَرَهُ فِي أَوْدِيَةِ الْقَبْلِيَّةِ .

١٨٩ - باب جُرْجِين ، وَجُرْجِير^(٤)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِضَمِّ الْحِيمِ ، وَآخِرُهُ نُونٌ - : مَوْضِعٌ مِنَ الْبُطَيْحَةِ صَعَبَ الْمَسْلَكِ^(٥) .
وَأَمَّا الثَّانِي - بفتح الحيم - : موضع بين مِصْرَ وَالْقَرَمَا^(٦) .

١٩٠ - باب جُرْجَان ، وَخُرْخَان وَخَرْخَار

أما الأول : بِضَمِّ الْحِيمِ ، وَبَعْدَ الرَّاءِ السَّاكِنَةِ جِيمٌ أُخْرَى ، وَآخِرُهُ نُونٌ :
الْبَلَدُ الْمَعْرُوفُ فِي نَاحِيَةِ خُرَّاسَانَ ، وَيُقَالُ : بَنَاهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، يُنسَبُ إِلَيْهِ خَلْقٌ
كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالزُّهَادِ ، وَلَهُمْ تَارِيخٌ حَسَنٌ . جَمَعَهُ حَمَزَةُ بْنُ يُوسُفَ
السَّهْمِيُّ^(٨) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ - : مَحَلَّةٌ
بِأَصْبَهَانَ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ رُوَاةِ الْحَدِيثِ ، مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ
بْنِ يُوسُفَ الْخُرْجَانِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْعَدَنِيِّ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيُّ وَغَيْرُهُ^(٩) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ، وَبَعْدَ الرَّاءِ خَاءٌ أُخْرَى - : قَرْيَةٌ مِنْ
قُرَى قَوْمَسَ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَرَائِضِيُّ
الْخُرْجَانِيُّ ، كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، رَوَى بِجُرْجَانَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ ، وَغَيْرِهِ ،
وَرَوَى عَنْهُ أَبُو نَصْرِ الإِسْمَاعِيلِيُّ^(١٠) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ - أَوَّلُهُ حَاءٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَبَعْدَ الرَّاءِ حَاءٌ أُخْرَى ، وَآخِرُهُ رَاءٌ - : مَوْضِعٌ
بِالْحِجَازِ ، فِي دِيَارِ جُهَيْنَةَ لَهُ ذِكْرٌ فِي الشَّعْرِ^(١١) .

الحواشي :

- (١) في كتاب نصر .
- (٢) في كتاب نصر بدون زيادة . وفي «معجم البلدان» : جرور - يَزَاعِيْنِ مهملتين - : مدينة يَهْمَسْتَان ، كذا يقول العجم ، وكتبها السُّفْيُ : سرور - وقد ذكرت في السين - وجرور أيضًا : من نواحي مصر . انتهى .
- (٣) نصُّ ما في كتاب نصر : (ناحية من خراسان) بهامات المَهْلَبُ ، ويَذَارُكَ جُرْدُ أَيْضًا : ناحية للخوارج بها وقعة . وكذا في «معجم البلدان» .
- (٤) من كتاب نصر .
- (٥) في كتاب نصر : (موضع من البطائع ، بين واسط والبصرة ، وإليه يُنسَبُ الهَوْرُ الثَّقَلِيُّ سلوكه ، لعظم الخطر فيه إِنْ هَبَّتْ أَذْنَى رِيح) . وهو نص ما في «معجم البلدان» إِلَّا أَنْ (البطائح) فيه : (البطيحة) .
- (٦) نصُّ كلام نصِّر ، ومثله في «معجم البلدان» .
- (٧) في كتاب نصر في باب الحاء : (باب حَرَّارٍ وجرجان) .
- (٨) قال نصر : (جرجان البلد المعروف بناؤه في الأعلام ، ليزيد بن المهلب) انتهى واطال يا قوت الكلام في جرجان ، نَمْنًا وَمَشَوَقًا ووصافًا . وفي كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» - ص ٤١٧ وما بعدها - تفصيل عن موقع إقليم جرجان ، وجعل مفيدة عن تاريخه وَحَدَرَهُ بن يوسف السهمي من بني سَهْمٍ من قريش توفي في سنة ٤٢٧ هـ وكتابه عن تاريخ جرجان مطبوع ، واسمه : «كتاب معرفة علماء أهل جرجان» وله مؤلفات أخرى .
- (٩) عقب يا قوت على القول بأنَّ حَرْجَانَ محَلَّةٌ بأصْهان - بقوله : وقال الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصْهَانِيُّ الإمام : حَرْجَانٌ مِنْ قَرْيَ أَصْهَانَ ، وهو أعرف ببلده ، وأنقَرُ لما يقول . وفي كتاب «الأنساب» للسمعاني و«معجم البلدان» ذكر لعدد من المشاهير المنسوبين إلى جرجان . وأورد يا قوت في «المعجم» الحَرْجَانَ - ثَنِيَّةٌ تُخْرَجُ - مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ : بِرَوْضَةِ الْخُرَجِينِ مِنْ مَهْجُورٍ تَسْرُبَتْ فِي عَازِبٍ نَفْسِيرٍ مهجور : ماء قرب المدينة . انتهى .
- (١٠) حَرْجَانٌ : بِخَاتَمَيْنِ معجمتين بينهما راء - نقل يا قوت عن السمعي ضبطه بضم الحاء الأولى ثم أورد ضبط الحازمي وكلامه بدون زيادة . إِلَّا أَنْ كلمة (روى بجرجان) في مخطوطة كتاب الحازمي وردت عند يا قوت : (روى بجرجان) ، وكذا في كتاب «الأنساب» للسمعاني - ٨٧/٥ - ولعلها هي الصواب ، وما في مخطوطة كتاب الحازمي تصحيف : والاسماعيلي هو محمد بن أبي بكر - على ما في كتاب «الأنساب» .
- (١١) وقال نصر عن حرار : (بالحجاز من ديار جهينة) ولم يزد . ومثله في «معجم البلدان» وعنه نقل صاحب القاموس وشارحه فجعله (له ذكر في الشعر) من زبادات الحازمي . ولا أَسْتَبِدُّ الصلة بين هذا الاسم وبين (جراجر) الذي ذكر البكري في «معجم ما استعجم» رسم نصع - أنه وادٍ لجهينة ، ومن أسفل المزاب . عيون فيها نخل لقريش ولبنى ليث . انتهى .

نظرة في كتاب :

«أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء»

[وصدر للأستاذ المحقق أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري كتاب «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» القسم الأول، عن العيونيين والعصفوريين وآل جروان، وآل جبر. وهو الحلقة الثالثة من سلسلة (دراسات ونصوص عن البيوتات العربية الحديثة) التي تصدر عن دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) وما هي مقدمة هذا الكتاب التي كتبها صاحب هذه الحلقة.

(كَيْه يَرِيعُ، لَا تَذِيرُهُ) !!

عندما ينفر بَكَرٌ من إبل أحد أبناء البادية لا يسارع بمطاردته لمحاولة إرجاعه، بل يتركه فلا يلبث أن يعود، وهو يقول لمن يريد اتباعه تلك الجملة، أَيَّ دَعَه فسينعطف بنفسه فيرجع، ولا تتبعه فيزداد نفوراً، وهكذا قلت في نفسي حين نظرت في هذا المؤلف الحديث للأستاذ الكريم محمد بن عمر بن عقيل - أبي عبد الرحمن الظاهري - .
لقد حمدت اتجاهه لدراسة جانب من جوانب تاريخ بلادنا التي لا يزال أكثر جوانب تاريخها مجهولاً.

وسررت بقيامه بهذا العمل، لما أعرف فيه من مثابرة وجَلْدٍ، وسعة إدراك، وتعمق في البحث، ورجوت أن يكون من وراء كل ذلك من النفع ما يؤمل من جهد باحث وهبه الله علماً وفهماً، وسعة اطلاع، وعمق معرفة، مع ما يتمتع به من شباب وقوة وصبر وجلد .

ولم أرَ غريباً في ثانيا هذا الكتاب ما يندر من مؤلفه الكريم من بدوات الشباب، أو نزوات الفتوة، أو ازدهاء توقع الفوز بالفلاح، فؤلفه - زاده الله نشاطاً وقوة - (ذو عزمات وجزمات) وقد دلف إلى الميدان مدججاً بالسلاح وشعاره : (إنَّ بني عمك فيهم رماح !!) حتى (توصل إلى نتائج حتمية كثيرة) !!

لا : لم استغرب ذلك ، بل رَدَدْتُ تلك العبارة التي افتتحت بها هذه الكلمة ،
لأنني أَعْتَبِرُ إخراجَ حبيبا أبي عبد الرحمن من (أروقة الظاهريين المذهبية لَيَقْفُو آثار ناقة
أمرئ القيس في مجاهل الجزيرة) أَعْتَبِرُ هذا مَعْتَمًا للباحثين في كل ما يتعلق بمراتع تلك
الناقة ، ومرايع ذلك الشاعر ، لا يُعَادِلُهُ مغنم .

حقاً إن المؤلف الكريم - كما يبدو من خلال مباحث هذا الكتاب - سار في معالجة
كثير من القضايا سيرة تؤيد صدق خروجه من أروقة (الظاهريين) ولولا ما بلوته منه من
صدق التمسك بمذهب أولئك القوم لوصفته بأنه قد نأى بعيداً عن قول شيخه بل شيخ
الإسلام الإمام ابن حزم :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي (ظَاهِرِيٌّ) وَأَنْتَ عَلَيَّ مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ
لقد عالَج ما تصدَّى لبحثه من الأمور التاريخية بطرق التفلسف والجدل ،
والاستنباط ، ومحاولة استظهار الدليل من أضعف الأقوال ، نصّاً وسنّاً ، فهو كما قال :
أصبح (دوره دور بحث واستنباط وليس جمع رواية).

وهذا أَعْتَبَرَهُ مكسباً آخر لمن يَغْنِيهِ الاهتمام بالتعمق في دراسة مختلف أحوال هذه
البلاد ، ولكن ليست دراسة جميع تلك الأحوال تقوم على مجرد الاستنباط من أي خير
كان ، أو الاعتماد على أية رواية كانت لذلك الخبر .

فالأبحاث التي تصدَّى الأستاذ أبو عبد الرحمن للكتابة عنها أبحاث تاريخية بحتة ،
والتاريخ بمختلف فروعه قائم على أسس الأخبار المنقولة بأية وسيلة من وسائل النقل
الصحيح ، ومُدْخَلُ الرَّأْيِ فيها لا يتعدَّى مقارنة تلك الأخبار لمعرفة أقربها إلى الحقيقة ، ثم
محاولة إبراز ما فيها من زَيْفٍ ، وهو بدون شك ليس بحاجة إلى الاسترسال في الكلام في
موضوع يحيط به من جميع جوانبه .

إنني حين نظرت في هذا الكتاب وقفتُ عند مواضع منه فرأيت مذاكرة مؤلفه
حوها ، ولكنه - أكرمه الله - أكرمني بأن أباح لي أن أعلّق بما أشاء حول ما ذاكرته فيه ،
فاكتفيت بأن أثير في هذه الكلمة إلى جوانب من ذلك ، ولا أثقل هوامش الكتاب

فأنا لا أرتاح للاكتثار من تكرار الشواهد والنصوص إذا كانت من مصدر واحد، وفي موضوع واحد، ولو وردت من عِدَّة طرق، بل أرى الاكتفاء بواحد منها مع الاعتماد على أقدمها وأوثقها.

ولا أرى القارئ بحاجة إلى إيراد قصيدة طويلة لشاعر عامي، قد لا تعجبه قرائتها كلها، لكي يجد الدليل بيت أو أبيات منها، بل أرى الاختصار على إيراد ما فيه الدليل مع الإحالة إلى تلك القصيدة التي سبق نشرها في أوثق مصادر النشر، فقد يكون القارئ ممن اطلع عليها. أو يكون ممن لا تصح هذه القصيدة عنده .

كما لا أرى أن يعتمد المؤلف، أيُّ مؤلف كان، إلى ملء صفحات كثيرة من كتابه بأنماط من الشواهد، من نوع تلك القصيدة، وقد يذهب الاستطراد به بعد ذلك إلى التوغل في دراسة ما ملأ به تلك الصفحات، حتى ولو كانت تلك الدراسة لا تخلو من فائدة ما لم تتصل بموضوع بحثه اتصالاً قوياً، لا من طريق ملّح خفي قد لا يتضح لكل قارئ .

ملاحظات هادي

حول أنساب القبائل :

ثم إنني لا أطمئن - ييقن - إلى ما ساقه المؤلف الكريم من أقوال كثيرة تتعلق بأنساب سكان بلادنا، عن علماء لهم منزلتهم العلمية، ولكن كتاباتهم عن أنساب أهل هذه البلاد ينبغي للباحث أن لا يعتبرها القول الفصل في تلك الأنساب، كابن خلدون والقلقشندي وغيرهما ممن عاش بعيداً عن هذه البلاد فكتب ما كتب عن بعد، وعن جهل بأحوال تلك القبائل.

ولا يتسع المجال لإيراد الأمثلة على ما وقع فيه أولئك العلماء من أخطاء فاحشة في كلامهم على أنساب تلك القبائل، وتكفي الإشارة إلى أن من تصفح تاريخ العلامة ابن خلدون يجد مؤلفه حين يتحدث عن كثير من قبائل الجزيرة يحكي بطريق الجزم بأنها انتقلت إلى المغرب ولم يبق منها في موطنها أحد. والواقع المشاهد خلاف ذلك .

ومثل هذا قاله ابن سعيد المغربي، ويظهر أنَّ ابن خلدون عول على كلامه بدون تمحيص .

وخذ مثلاً القلقشندي وما كتب عن أنساب قبائل الجزيرة، إنه كتب ما كتب وهو في مصر، فكان في جُلِّ ما كتب يعتمد على مصادر أكثر ما يرد فيها عن القبائل الحديثة لا يقوم على أساس من الصحة، وانظر لذلك ما ذكر عن (شَمْس) و(الدواسر) وقابله بما ورد في الكتب القديمة عن هاتين القبيلتين .

وأجلُّ من ابن خلدون والقلقشندي وأقدم وأعلم شيخ المؤلف، بل شيخ الإسلام أبو محمد بن حزم، فاكذب في أنساب هذه الجزيرة - ممَّا لم يَسِرْ في تدوينه ونقله على ريادة أبي المنذر هشام بن محمد ابن السائب الكلابي الذي لخص كتابه «جمهرة النسب» وأضاف إليه تلك الإضافات الجلية العظيمة الفائدة - ما كتب من ذلك وقع فيه من الوهم ما يستكثر وقوعه من عالم واسع الاطلاع، كالإمام ابن حزم، ومن ذلك نسبته قبيلة حَرْبٍ إلى بني هلال العامرية المضرة، لأنه لم يطلع على ما كتبه الهمداني في كتاب «الاكلیل» من هجرة هذه القبيلة من اليمن، واستقرارها بين المدينتين الكريمتين مكة والمدينة، وتفصيل أخبارها وأنسائها، وأنها من خولان ثم من قضاة من قحطان، والهمداني عليه المعول - كما قال الحافظ عبد الغني بن سعيد عنه في الكلام على أنساب حمير - انظر مقدمة «صفة جزيرة العرب» ص ١٩ - وكتابه «الإكلیل» قد وصل إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري، واستفاد منه علماء تلك البلاد، ويظهر أنَّ ابن حزم لم يطلع عليه .

إنَّ الإمام ابن حزم وغيره ممن كتب عن أنساب سكان الجزيرة لهم واسع العذر فيما أخطأوا فيه، فهم يكتبون عن أحوال قبائل يجهلونها، فيدونون ما يصل إليه علمهم. وأنساب القبائل العربية بعد الفتوحات الإسلامية وهجرة كثير من تلك القبائل إلى الأقطار الخارجة عن الجزيرة قد كثرت الاختلاط فيها، وقلت العناية بتدوينها، مع أنه لم يدون منها عند بدء التدوين في القرن الثاني الهجري وأول الثالث، إلا ما يتعلق بالمشهور من فروع القبائل التي لها صلة بالحوادث التاريخية قُبَيْلَ الإسلام وفي صدره، كمؤلفات

الكليّين والرُّبُريّين، ومؤرّج السدوسي، وأمثالهم ممن عاصروهم أو نقل عنهم كالبلاذري في «معالم الأشراف» انظر عنه «العرب» السنة الأولى ص ١١١ وما بعدها .

ثم في القرنين الثالث والرابع تصدّى عالمان جليلان من أهل هذه البلاد هما الهمداني البُنيّ في كتابيه «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» ، وأبو علي الهجريّ في كتابه «النوادر والتعليقات» الذي لم يصل إلينا منه سوى جزء يسير، ومع ما لِمَا كتبه هذان العالمان في هذا الموضوع من قيمة علمية إلا أنه لم يُدرَسَ بعد .

وعُني آخرون من العلماء المتأخرين في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية بالكتابة عن أنساب العرب في الأقطار التي كان أولئك المؤلفون يعيشون فيها وعن أنساب بعض القبائل والأسر الشهيرة في خارج تلك الأقطار، إلا أن كتاباتهم عن أنساب سكان الجزيرة مع قلتها لم تكن في الغالب قائمة على أسس صحيحة .

من أسباب الخلط في الأنساب :

لقد اختلطت فروع القبائل، فتداخلت أنسابها تداخلاً يصعب تمييزه إلا لمن خالط تلك الفروع في مجاهل بلادها، ومن ذا الذي يستطيع ذلك في عصور كانت الجزيرة فيها منعزلة عن غيرها من البلاد، وقد انتشرت فيها القوضى، وعُدِم الأمن، وعادت إلى جاهليتها الأولى. فإذا يفعل من يتصدّى لكتابة أنساب سكان هذه الجزيرة؟ لا شيء أمامه سوى الاستئناس بما كتبه المتقدمون عن القبائل العربية القديمة، ثم محاولة ربط أنساب القبائل الموجودة بأنساب تلك القبائل، وقد يعتمد في ذلك على أوْهي الأسباب كأن يُحد اسماً مشهوراً في إحدى القبائل القديمة، يضاهيه اسم قبيلة معاصرة، فينسب هذه إلى تلك، ومن هنا وقع الخلط في أنساب كثير من القبائل بسبب الاتفاق في الاسماء لا عند النسابين وحدهم بل حتى بين القبائل نفسها وإلى هذا ألمح علامة اليمن ونسابتها الهمدانيّ في كتاب «صفة جزيرة العرب» - ١٨٠ حيث قال : (وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها ، فإنها تكاد أن تتحصل نحوها وتنسب إليها ، رأينا ذلك كثيراً) .

هذا الأمر وهو وقوع الخلط في الأنساب بسبب تشابه الأسماء الذي وقع فيه كثير من كتب عن أنساب القبائل العربية وخاصة من المتأخرين، يظهر أنَّ الأستاذ ابن عقيل لم تتضح له صحته، ولا أقول : بأنه يجهله، فقد ذاكرت فيه حين رأيته يؤكد نسبة بني عامر الذين كانوا يسكنون شرق الجزيرة إلى بني عامر بن صعصعة بن معاوية من قيس عيلان من مضر، فكان حين المذاكرة على درجة من الاقتناع بصحة رأيه، بحيث اعتبر الأمر على ما جاء في المقدمة مما (اشتباه عليّ)، وأنه أقام لي البرهان على أنَّ ما جزم به ليس عليه نور من برهان). وقد يشايه بعض القراء على هذا إلا أنَّ من حقَّ أولئك القراء عليّ أن يدركوا من جوانب هذا الأمر أكثر مما أشار الأستاذ المؤلف إلى أنه مما (جزم به !):

الجانب الأول : بعد دراستي لأنساب سكان الجزيرة خرجت بنتائج أهمها : أنَّ الباحث لا يجد قبيلة واحدة من القبائل العربية لا تزال باقية على صراحة نسبها القدم، لم تخلط أحداً، ولم تدخل فيها عناصر لا تتصل معها بصريح نسبها.

وأذكرت أيضاً أنَّ جذمي العرب اللذين كان المتقدمون يرجعون أنساب القبائل العربية الموجودة إليها وهما (عدنان) و(قحطان) قد حصل الامتزاج والتداخل بين جميع من يُنسب إليها، بحيث لا يستطيع الباحث في أصول الأنساب في عصرنا أن يحزم بأنَّ القبيلة الفلانية الباقية في عهدنا قحطانية أو عدنانية، بين جميع القبائل التي تعيش في وسط الجزيرة أو غربها أو شرقها أو شمالها، باستثناء بعض القبائل التي لا تزال منزلة في أقاصي اليمن أو في شعاف سروات الحجاز الغربية الجنوبية. ومن هنا فالجزم بأنَّ القبيلة الفلانية من قحطان أو من عدنان يستلزم ذكر تسلسل نسبها إلى الجذم الذي تنسب إليه. بل أنساب جميع فروعها تسلسلاً متصلاً صحيحاً، وهذا الآن يعد من قبيل الحال، لانقطاع تدوين الأنساب منذ عصور طويلة.

الجانب الثاني : أنَّ الامتزاج والاختلاط بين قبائل الجزيرة نشأ مع نشوء تلك القبائل نفسها، لأنَّ حياة القبيلة كانت تقوم على أساس التجمع بمختلف الوسائل، كالقراية والتحالف والتجاور والتشارك في المنافع، فهي منذ القدم وإن كانت تنتمي في الأصل

إلى جدّ واحد غير أنّ أثر هذا الانتماء يكاد ينحصر بمجرد الاعتزاء إلى اسم جامع ، وهو يـضعف أو يقوى بسبب ما يـعترّـي من يـعترّـي إليه من قوّة منشأها الكثرة بمختلف وسائلها ، أو يـضعف يـحدّـثه التفرّق من جرّاء الحروب وغيرها من الأسباب .

ولو تعمّق الباحث في دراسة ما أُلّفَ عن أنساب القبائل في مصادره الأولى كمؤلفات ابني الكلبي هشام وأبيه - لخرج بنتيجة تكاد تكون مذهلة ، بسبب الاختلاف والاضطراب في أنساب كثير من القبائل ، ولو أضاف إلى تلك المؤلفات ما ورد عنها في بعض المؤلفات اليمنية ككتاب «الأكليل» للهمداني لأصيب بالحيرة التي قد تدفعه إلى عدم الثقة بكثير مما كتبه أئمة علم النسب ، بلّه من عداهم من المتأخّرين .

الجانب الثالث : كثير من القبائل التي كانت مشهورة في عصر الجاهلية وفي صدر الإسلام ممن كان منتشرًا في الجزيرة حينما هاجرت من مواطنها القديمة متموجة في الجزيرة أو خارجة عنها ، بقي لها بقايا منها من حافظ على نسب القبيلة القديم ، ومنها من اندمج في قبيلة أقوى وأشهر من قبيلته التي ضعفت بسبب التفرّق أو غره من الأسباب . ولا أريد الإطالة في تفصيل ما أجملته ، بل أكتفي بالتمثيل بالقبيلة التي نسب إليّ الابن الكريم الجُزَمَ بنسبتها إلى من يرى عدم نسبها إليه ، وهي قبيلة بني عامر .

بنو عامر الرّبيعة وبنو عامر القيسية :

من المعروف عند متقدمي المؤرخين أنّ بلاد البحرين قبل ظهور الإسلام انتشرت فيها قبائل ربيعة ، وأنّ من أشهر تلك القبائل بني عبد القيس ، التي جاء الإسلام وهم أهل البحرين ، ومن هؤلاء بنو عامر الذين حدّد المتقدمون من العلماء كابن الكلبي ومن نقل عنه حدّدوا منازلهم ، وكان من أوضح نصوصهم ما أورده البكري في مقدمة كتابه «معجم ما استعجم» ص ٨١ : (فغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بينهم ، فنزلت جذيمة الخطّ وأعباءها^(١) .

ونزلت نكرة وسط القطيف وما حوله .

وقال ابنُ شُبَّةَ : نزلت نُكْرَةُ الشفَارِ^(٢) والظهران إلى الرمل ، وما بين هجر إلى قطر ، ويثبونة ، وإنما سميت يثبونة لأنها وسط بين البحرين وعمَّان .

ونزلت بنو عامرٍ والعمور - وهم بنو الدَّيْلِ بنِ عَمْرٍو ، ومُحَارِبِ بنِ عَمْرٍو ، وعَجْلُ بنِ عَمْرٍو بنِ وَدِيعَةَ بنِ لُكَيْزٍ ، ومنهم عَمِيرَةُ بنُ أَسَدِ بنِ رِبِيعَةَ حلفاء لهم - الجوف والعيون والأحساء حذاء طرف الدَّهْنَاء . وخالطوا أهل هجر في دارهم) . إلى آخر ما ذكر .

ثم بقيت تلك البلاد لعبد القيس في صدر الإسلام ، فقد ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» رسم (صَلَاصِل) ما نصه : (قال أبو محمد الأسود : هو ماء لعامر ، في وادٍ يقال له الجوف ، به نخيل كثيرة ، ومزارع جمّة ، وقال نصر : هو ماء لبني عامر بن جذيمة من عبد القيس ، قال : وذكر أنَّ رَهْطًا من عبد القيس وفدوا على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فتحاكموا إليه في هذا الماء ، أعني الصَّلَاصِلَ فأنشده بعضُ القوم قولَ ثُلَيْدٍ العَبْشَمِيِّ ، هذا ففَضَى بالماء لولد عامر هذا ، وأول هذه الأبيات :

أَتَيْنَا بَنُو قَيْسٍ بِجَمْعٍ عَرَمٍ وَشَنَ وَأَبْنَاءَ الْعُمُورِ الْأَكَابِرِ
فَبَاتُوا مَنَاحَ الضَّيْفِ ، حَتَّى إِذَا رَفَا مَعَ الصُّبْحِ فِي الرُّوضِ الْمُنِيرِ الْعَصَافِرُ
نَشَانًا إِلَيْهَا وَانْتَضَيْنَا سِلَاحَنَا يَمَانٍ وَمَآثُورٍ مِنَ الْهَنْدِ بَايِرُ
وَنَبْلٍ مِنَ الرَّادِي بِأَيْدِي رُمَاتِنَا وَجُرْدٍ كَأَشْطَارِ الْجَزُورِ عَوَاتِرُ
شَفَيْنَا الْعَلِيلَ مِنْ سُمِيرٍ وَجَعُونِ وَأَفْلَتْنَا رَبُّ الصَّلَاصِلِ عَامِرُ
وَأَيَقَنَ أَنَّ النَّحْلَ إِنْ يَغْلِقُوا بِهِ يَكُنْ لِفَسِيلِ الْجَوْفِ بَعْدَهُ آيِرُ
يُبَادِي بِصَحْرَاءِ الْفُرُوقِ وَقَدْ بَدَتْ ذُرَى ضَمِعٍ ، أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ جَابِرُ

الْعُمُورُ : من عبد القيس ، الدَّيْلُ وعَجْلُ ومُحَارِبِ بنو عَمْرٍو بنِ وَدِيعَةَ بنِ لُكَيْزٍ بنِ أَفْصَى ابنِ عبد القيس . انتهى .

ثم حين استولت القرامطة على هذه البلاد وجرى بينهم وبين سكانها من المعارك والحروب ما جرى ، مما نجد أوفى مصدر له ما جاء في «شرح ديوان ابن المِقْرَبِ» - على

نقصانه - نجد اسم (عامر) يتردد في ذلك مضافاً إلى (ربيعة) في الكلام على استيلاء ابن أبي العريان على جزيرة (أوال) نجد في ذلك الشرح في خبر طويل ما نصه : «العرب» ص ١٦ ص ١٦٥ : (وجاء أبو عبد الله بن سنبر بنفسه على ما استقرَّ بينه وبين أبي العريان، في مئة وثمانين شدةً، بها من (عامر ربيعة) خلق كثير، وجمع أبو الهلول الشدات الذي له، ونزل على حاله، فلما التقى الفريقان، وكانت شدات أبي الهلول مئة قطعة، قد شحنها بالرجال، وكان عند نزوله إلى الشدات قد وقع عن الفرس، فانكسر ساقه، واجتهد به أخوه أن يرجع فلم يفعل، وتقدم، وأمر برفع الأعلام، وضرب الدبابد والبوقات، فاتفق من اتفاق السوء لابن سنبر أن حطَّ معه في الشدات خمس مئة فرس، أكثرها (لعامر ربيعة) تصوراً منه دخول البلد من غير حرب) إلى آخر الخبر.

ثم يأتي القرن الثامن الهجري فنجد ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» في كلامه على قبائل العرب في عهده يقول ما نصه - «العرب» ص ١٦ ص ٧٧٩ : (عُقبِل : وهم من آل عامر. قال الحمداني : وهم غير عامر المنتفق، وغير عامر بن صعصعة. قال : ومنهم القديمات، والنعايم، وقبات وقيس ودغفل، وحرثان وبنو مطرق.

وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية، صحة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي ابن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر^(٣)، وعوملوا بأتم الإكرام، وأُفيضَ عليهم سايغ الإنعام ولخطوا بعين الاعتناء .

قلت : وتوالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية - إلى أن قال - : وكانت الإمرة في أولاد مانع).

والحمداني هذا الذي نقل عنه ابن فضل الله هو يوسف ويعرف بابن زجاج، ترجمه الصفدي في كتاب «أعوان النصر في أعيان العصر» وابن حجر في «الدرر الكامنة» وهو عالم من مؤلفاته كتاب لا يزال مخطوطاً في علم المعاني والبيان والبدیع على ما أظن - من مخطوطات دار الكتب المصرية ، وكان الحمداني هذا في الدولة المصرية في عهده (مهمنداراً) أي يقوم بشؤون الوافدين على السلطان من ضيافة وغيرها، وكان يتلقى

أنساب القبائل من رؤسائها الوافدين على حكام مصر في ذلك العصر، فيسجلها، وما سجل منها كان من أهم المراجع لمن ألف عن الأنساب بعده كابن فضل الله والقلقشندي وغيرهما .

وفي العصور الأخيرة تحول اسم (العمور) إلى (العامر) وبقي معروفاً إلى عهدنا، يطلق على أحد فروع قبيلة بني خالد التي خلفت بني عامر في بلادها الستار (وادي المياه) وما حوله، فأصبح يطلق على تلك البلاد نقرة بني خالد .

وأنا حين تحدثت عن هذه القبيلة لم (أجزم) بأنها يجمع عناصرها ترجع إلى عبد القيس، بل قلت ما هذا نصه : - «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم المنطقة الشرقية ص ٥٧ (وما لبثت القبائل بعد ظهور الإسلام تندفق على هذه البلاد، وتنازع سكانها البقاء، وتمتزج بقبائلها، فكان من سكانها بطون من بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر هوازن، من بني عقيل، وبني كلاب وغيرهم، على ما يفهم من كلام الأزهري وابن خلدون، وما جاء في «شرح ديوان ابن مقرب» الذي صور جوانب كثيرة من تطاحن القبائل في هذه المنطقة في القرن الخامس الهجري وما بعده .

وقد تكرر اسم بني عامر بين سكان هذه البلاد، وهم في الأصل من بني عبد القيس غير أن انصواء بطون من بني عامر بن صعصعة إلى هذه النواحي واتفاق اسم القبيلتين سبب اختلاطهما). هذا نص ما قلت .

أفصبح القول غني أنني (جزمت) بنسبة هاؤلاء إلى عبد القيس ؟!! إن الذي يصح أن يوصف بأنه (ذو عزمات وجزمات) هو حبينا أبو عبد الرحمن، الذي اتخذ من نصوص حشرها وأكثرها (ما بين مُحِمٍّ وطَرِيٍّ) واتخذ منها أساساً للجزم بأن بني عامر سكان هذه البلاد منذ عهد القرامطة فما بعده هم من بني عامر بن صعصعة القبيلة الهوازنية المضرية، ولم يدرك أنَّ ما استدل به إما أن يكون منقولاً عن عالم جليل، اتخذ بغلبة شهرة بني عامر الهوازنية فظنَّ أنَّ بني عامر الآخرين من سكان البحرين من هذه القبيلة المشهورة. وإما أن يكون من كلام من لا يوثق به في علم الأنساب كصاحب كتاب «مسيرة إلى عرب الأحواز» وأمثاله من متأخري المؤلفين، ممن تلقفوا ما ورد في

المؤلفات القديمة بدون تمحيص، ممن لا يُعَبَّأُ بقولهم، ولا يوثق به، ولا يصحُّ أن يتخذ أساساً لإزالة اسم قبيلة اتفق جميعُ من كتب عن تاريخ سكان البحرين أنَّ هذه البلاد بلادها في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام.

بينما قبيلة بني عامر الهوازنية - وإن كانت أشهر من بني عامر الفرع العقبسي - كانت تحمل عاليةً نجد، في الأودية الغربية الجنوبية، المنحدرة من مرتفعات الحجاز حتى أسافل نجدٍ الجنوبيَّة منساحة على سفوح تلك الأودية، وما حولها من البلاد حتى رمال الجُزء، الجانب الغربي الجنوبي من رمال ما يعرف الآن باسم (الربع الخالي). ومن بقايا هذه القبيلة قبيلة سبيع التي لا يزال كثير من فروعها يحل منازل قبيلته الأم فيما يعرف باسم (وذيَّان سبيع). ولا شك أنَّ من فروعها من انساح في جوانب الجزيرة الأخرى. كما هو شأن كل قبيلة من قبائل الجزيرة.

حول قبيلة بني خالد :

ومن (عزمات) الأستاذ الكريم و(جزماته) القول بأن قبيلة بني خالد من طيء وجزام، ولا علاقة لها بقيس عيلان. وهو يدرك أنَّ اسم خالد تسمى به فروع كثيرة من قبائل مختلفة الأصول، فهناك بنو خالد من هذيل، لا يزالون معروفين في سراة الطائف وسفوحها الغربية، ولهم مناوشات مع أمراء مكة، وبنو خالد كانوا من عرب الشام، فيما حول حمص، وانتسبوا خطأً إلى خالد بن الوليد الصحابي الجليل. المقبور في حمص، وقد أوضح المتقدمون من علماء النسب كابن فضل الله العمري خطأً هذا الانتساب لانقطاع عقب خالد، وهناك في بني عُقَيْل بنو خالد الذين قال عنهم أحمد بن مُشَرَفٍ :
وَلَا نَسْجَ جَمْعَ الْخَالِدِيِّ فَإِنَّهُ قَبَائِلُ شَتَّى مِنْ عُقَيْلِ بْنِ عَامِرٍ
وهو يقصد ذوي السيطرة والنفوذ في الأحساء.

لقد قلت عن بني خالد - استناداً إلى ما أوضحت قبل هذا من أنَّ جميع القبائل في وسط الجزيرة وشرقها لم تَبْقَ على صراحة نسبها، وُخِّلُوهُ من امتزاج عناصر من قبائل أخرى به - قلت في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» - ص ٢٠٥ - ما

نصه : (قبيلة بني خالد من أشهر قبائل الجزيرة، عدنانية الأصل، وهي كغيرها من القبائل العربية، مازجتها أفخاذ كثيرة من قبائل أخرى، بطريق الحلف والاحتماء بقوتها، ذلك أنها كانت في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، بل إلى منتصف القرن الثاني عشر، كانت تسيطر على نجد، وقامت لها حكومة في الأحساء امتد نفوذها إلى نجد، من عهد الدولة الجبرية إلى آل غُرَيْرٍ فَال غُرَيْر، ولهذا الحكومات أخبار مفصلة لا يتسع المجال لذكرها .

وبنو خالد كانوا في الأصل من القبائل الرحل، وقد تحضر عدد كثير منهم، وانتشروا في الأحساء في مختلف قراه، وفي القصيم وفي الوشم وفي سدير وفي الخرج .

ويظهر أن القسم الذي كان يعيش من هذه القبيلة في نجد دخل تحت سيطرة قبيلة بني لام، والفضول، عند اشتداد شوكة هاؤلاء وقوتهم، واتساع نفوذهم في القرن الثامن الهجري، وما قبله بيسير ثم أوردت نصوص ما اطلعت عليه من أقوال علماء النسب عن هذه القبيلة .

وأضيف إلى هذا بأن فروعاً من قبيلة عبد القيس - كالعُمور (العاير) أصبحت معدودة من قبيلة بني خالد: أما الأستاذ ابن عقيل فإنه يحزم بصراحة نسب بني خالد هؤلاء (أنهم قحطانيون من طيء وجذام، ولا صلة لهم بقيس عيلان).

وإخاله لا يجهل أن قبيلة طيء كانت منازلها شمال الجزيرة، ثم انتقل كثير من فروعها إلى الشام والعراق، وأن قبيلة جذام كانت تسكن شمال الحجاز، ممتدة إلى الشام وإلى شبه جزيرة سيناء، إلى مصر .

وإنه يدرك أيضاً أن اتجاه القبائل منذ أقدم عصورها في هجراتها وانتقالها من الجزيرة إلى الأرياف - أرياف العراق وأرياف الشام - حيث تبدأ دوراً جديداً في التحضر والاستقرار، ولا تعود إلى حياة البدوة في صحاري الجزيرة .

فهل يرى الأستاذ أن بني خالد الذين استوطنوا البحرين في العصور الأخيرة خالفوا ذلك النهج المعروف عن تنقل القبائل فعادوا من البلاد الواقعة خارج الجزيرة أو في

أطرافها الشمالية الغربية إلى بلاد البحرين في شرق الجزيرة ١٩!

إنَّ هذا الأمر ليس بمستحيل الوقوع، ولكن يعوزه ما يؤيده من دليل، كغيره من القضايا التاريخية، التي عرض لها الأستاذ الكريم، مستنداً بأقوال تذكر القارئ بعبارة للإمام الذهبي عن أحد العلماء : (ثقة نبيل، يورى مناكير عن مجاهيل).

لن أبيع لنفسي الاسترسال في تتبع ما أخالف به حبيينا الأستاذ مما أورده في كتابه هذا، ولولا أنه مَنَحَنِي هذا الحق بعد مذاكرته في بعض ذلك لما عُلِّقْتُ بحرف واحد .
وإني لَأَكْتَمِي صادقاً بأن يُوقَّع الأستاذُ الكريم لإثبات صحة آرائه بأدلة واضحة من أقوال علماء يوثق بهم .

(جزمات) يعوزها التريث :

ولعله يوافقني بأن صيغ الجزم والتعميم في المباحث التاريخية ليست كافية لإيجاد القناعة في نفوس كل القراء .

كحكاية (الاتفاق) على زوال دولة القرامطة سنة ٣٩٨ مع أن أَوْفَى مصدر عُرف حتى الآن عن زوالهم هو «شرح ديوان ابن المقرب» وما فيه يخالف ما عبر عنه المؤلف الكريم بالاتفاق .

وكذا القول بأن (المؤرخين) نَصُّوا على أن جدَّ العصفوريين هو عوف بن عامر بن عقيل بن كعب .

ورأيي غريب للإبن الحبيب عن استيلاء الأتراك على الأحساء. إنه يرى اعتماداً على قول لابن بشر - نقله عنه من جاء بعده كابن عيسى - يرى أن ذلك كان على رأس الألف، ويعتبر هذا القول أولى بالاعتماد مما أورده غير ابن بشر من المؤرخين، مما يتفق مع ما في سجلات الدولة التركية من أن الأحساء كان تابعاً لها منذ عهد السلطان سليمان القانوني، وما تنطق به الآثار المنقوشة في الأحجار على جدارن ما شيدته ولأنتها من مساجد كمسجد الدَّبَس الذي عمره محمد باشا سنة ٩٦٣ ومسجد القبة الذي عمر سنة

٩٧٤ هـ أفتراه ظن أن (محمد باشا) الوالي التركي الذي عمر ذلك المسجد في عهده هو (محمد باشا) الذي ذكر الألويسي ولايته على الأحساء في عهد متأخر عن عهد بناء المسجد، ولم يدرك أن من يسمى بهذا الاسم من ولاية الترك للأحساء كثيرون!!! لا. فهو أعمق إدراكاً وأوسع علماً إلا أنه - رعاه الله ووفقه كما قال عن نفسه : (ذو عزمات وجزمات).

حقاً إن كثيراً من قضايا تاريخ الأمة في أشد الحاجة إلى باحث ذي عزمات قوية، ينفذ ما تراكم من غبار الأوهام، ويوضح جوانب الصواب، بما يُضفيهِ من رواقد المعرفة لإيضاح تلك القضايا، حتى يتسنى لدارسها على ضوء تلك الإضافات الوصول إلى حقائقها عن قناعة واطمئنان.

وهذا ما أتوقعه من أبي عبد الرحمن ، الذي لا تُصِفُ بالإنصاف حين أروم منه - وهو في أول مراحل سيره لمعالجة تلك القضايا - أن يُوفيَ على الغاية فيما يعرضه من آراء حيالها.

وأخشى ما أخشاه أن يفضي به طول التمرس بها إلى مرحلة من السأم، يكتفي عند بلوغها بالإطلال على المهتمين بتلك القضايا، من بُعد، متمثلاً بقول الرازي :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ظَلَالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ (قِيلَ) وَ (قَالُوا)

حماه الله من ذلك .

حمد الحاسر

القاهرة - رمضان ١٤٠٣

الهوامش :

- (١) الصواب : (اعباءها) وانظر (العباء) في «المعجم الجغرافي» قسم المنطقة الشرقية .
- (٢) الصواب : (الستار) وانظر «المعجم» أيضاً .
- (٣) يظهر أن الصواب : (من عامر) إلا إذا كان غير عامر الذي تنسب إليه القبيلة ، وورد في «شرح ديوان ابن مقرب» : اسم (غفيلة بن شبابة) مما يدل على سقوط أسماء في هذا النسب .

النبيين، في أنساب القرشيين

[في «العرب» ص ١٨ - ٤٣١ - كلمة عن قيام (المجمع العلمي العراقي) بنشر هذا الكتاب . وها هي كلمة عن مؤلفة موفق الدين ابن قدامة - سبق نشرها ودعت المناسبة لايرادها توطئة للحديث عن الكتاب في طبعته الأولى] .

شيخ الاسلام ابن قدامة :

في سفوح جبال (نابلس) من أرضنا السليبة (فلسطين) تنتشر القرى الصغيرة ، التي كانت في الأيام الماضية تملأ العالم الإسلامي بصفوة ممتازة من العلماء العاملين ، في كل حقل من حقول المعرفة من (جَمَاعِيْل) - بتشديد الميم - و(سَقَّارِيْن) - بتشديد الفاء - و(مُرَدَّا) وغيرها نبغ علماء ، بقيت آثارهم العلمية مناراً يُسار عليه ، ويهتدى بهديه ، إلى عصرنا الحاضر .

وفي آخر القرن الخامس الهجري (سنة ٤٩٤) استولت الجيوش الصليبية على (فلسطين) في عهد كان المسلمون يغطون في نومهم ، وكان حكامهم وسلاطينهم كل واحد منهم يسعى ليسيّط على أكبر جزء يستطيع السيطرة عليه من مملكة جاره ، بينما أعداء الإسلام يقطعون أجزاء المملكة الإسلامية جزءاً جزءاً ، والغزاة يحيطون بها من كل جانب ، والأصوات الخافتة من دعاة الإصلاح لا تجد لها سامعاً .. في ذلك العصر ، وحينما رأى العلماء في تلك الأرض الحبيبة (فلسطين) أن البلاد قد أحاط بها الأعداء من جميع الجوانب ، بدأوا يهاجرون منها ، بل بدأوا يرحلون إلى الأقطار الإسلامية المجاورة ، علَّهم يجدون فيها نجدة أو عوناً لتطهير تلك البلاد .

من أولئك الذين نزحوا من فلسطين إثر استيلاء الصليبيين عليها ، أسرة كريمة ، خرج منها عدد كبير من العلماء ، هي (أسرة المقداسة) نسبة إلى بيت المقدس ، وإن كان اصلها من (جَمَاعِيْل) من قرى (نابلس) إلا أنَّ (نابلس) نفسها كانت ولا تزال من - مضافات بيت المقدس - ولهذا نسبت الأسرة إليه .

كان تاريخ هجرة (المقداسة) في سنة ٥٥١ إلى دمشق ، وللهجرة سبب ، أُلِف عنه أحد علماء الأسرة كتاباً دعاه «سبب هجرة المقداسة» ولكنه لم يصل إلينا .

من تلك الأسرة الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي مؤلف كتاب «الكامل» ومنها الشيخ أبو عمر بن محمد بن قدامة - بضم القاف وتخفيف الدال المهملة - والد عبد الرحمن شارح «مختصر الخرقى» في الفقه الحنبلي المعروف بـ «الشرح الكبير» ومنهم الضياء محمد بن عبد الواحد مؤلف «المختارة» في الأحاديث الصحاح ، ومؤلف كتاب «سبب هجرة المقداسة» وغيرهما من المؤلفات .

ومن هذه الأسرة الكريمة التي تُمْتُ بنسبتها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي - شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، الذي بلغ درجة في العلم حملت شيخ الإسلام ابن تيمية على أن يقول : (ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق) .

ولد الموفق في (جمّاعيل) في شعبان سنة ٥٤١ هـ وهاجر مع أسرته وله عشر سنوات ، فاستقرت الأسرة في دمشق ، نزلت أولاً في مسجد أبي صالح ظاهر الباب الشرقي ، ثم انتقلت إلى سفح (قاسيون) في صالحية دمشق ، هذه المحلة المباركة التي لا تزال آثار تلك الاسرة العلمية من مدارس ومساجد ظاهرة اطلالها ، بارزة للعيان ، تحمل أسماء عدد من علماء تلك الأسرة .

لا أريد الاطالة في ترجمة الموفق ، فقد أفرد له الحفاظان الذهبي والضياء المقدسي كتابين في ترجمته .

ولم يكن من آثاره سوى ذلك الكتاب العظيم كتاب «المغني» في الفقه الإسلامي لكفاه خلوداً وشهرة .

وله عشرات المؤلفات غيره في مختلف العلوم من فقه وحديث ولغة وتصوف شرعي وغيرها .

يصف المؤرخون هذا العالم الجليل بأنه كان (كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا ، وأهلها ، هيناً متواضعاً ، محباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً سخياً) .

يصفونه بسعة الخلق وأنه (كان لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو يتسم ، حتى قال بعض الناس : هذا الشيخ يقتل بتسمه خصمه) .

وقد جرى بينه وبين فخر الدين ابن تيمية خلاف حول (تخليد أهل البدع في النار) كان الفخر يرى هذا ، والموفق يخالفه ، فردّ كل واحد منهما على صاحبه في الموضوع .

قام الموفق برحلات إلى العراق وإلى الحجاز ، وأخذ عن مشاهير علماء هذين القطرين ، وعن مشاهير غيرهما من الأقطار الإسلامية في ذلك العهد ، وبلغ في العلم مرتبةً أهلتَهُ لأسمى الرتب العلمية في عصره ، حتى عرف بشيخ الإسلام .

وفي ليلة عيد الفطر من سنة ٦٢٠ توفي رحمه الله بعد أن بلغ من العمر ٧٩ عاماً ، وخلف من المؤلفات ما يربو على الثلاثين كتاباً منها في الأنساب كتابان :

الكتاب الأول : «الاستبصار في أنساب الأنصار» :

وهذا الكتاب أوضح المؤلف غايته من تأليفه في مقدمته حيث قال - بعد خطبة قصيرة - : (هذا الكتاب فيه أنساب الصحابة من الأنصار ، وطرف من أخبارهم على سبيل الاختصار ، ليعرف به منزلتهم في الإسلام ، وتأسيسهم للدين ، وما خَصَّهُمُ الله تعالى من نصره ، وإظهار دينه وإيوائِ رسوله وصحابته ، وسَبَقَهُمُ إلى إجابة دعوته ، وبَذَلَهُمُ المهج في طاعة ربهم وطاعته ، وليعظم في القلوب محلهم ، ويكثر بالترحم عليهم فضلهم ، ويزداد الإيمان بمحبتهم) . وقد ذكر نهجه في التأليف فقال بعد أن اطال الحديث في فضل الانصار : (والأنصار هم الأوس والخزرج ، ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويلقب ثعلبة بن عمرو بالعنقاء ، وأبوه عمرو : مُزَيْنِيَاء ، وأبوه عامر : ماء السماء . وأبوه حارثة : الغطريف ، قال حسان :

فمن بك عَنَّا معشر الأَزْدِ سائلا فإنا بنو العَوْثِ بن نَبْتٍ ، بن مالك وزيد بن كهلان الذي شاد مجده بنوه ، دَرَارِيُّ النجوم الشوابِكُ وقدمنا ذكر الخزرج لأنهم أحوال رسول الله ﷺ ، فإنَّ أمَّ عبد المطلب منهم ، وهم بطون : منهم بنو النَجَّار ، وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . وبدأنا ببني النَجَّار لقربتهم من رسول الله ﷺ) .

ثم بدأ ببني النجار ، ذاكراً الصحابة منهم ، رجالاً ونساء ، مورداً لكل صحابي ترجمة تختلف باختلاف شهرته ، فهناك من ترجمته تبلغ أكثر من صفحتين ، وهناك من لا تكمل سطرين .

وسار في تراجم الباقيين من الأنصار على هذا المنوال ، لا يخرج عن الصحابة ، أي

الذين أدركوا الرسول ﷺ ، بخلاف ما سار عليه في كتاب «التبيين في نسب القرشيين» فإنه يترجم الصحابي ثم يذكر المشهورين من عقبه وعقب عقبه ، حتى يقارب القرن الثالث الهجري .

وفي كتاب «الاستبصار» عول - أكثر ما عول - على كتاب «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر المالكي القرطبي (٣٦٣هـ - ٤٦٣هـ) فهو ينقل عنه كثيراً ، وفي بعض المواضع لا يصرح بالنقل ، وقد رجع الموفق إلى أمهات كتب النسب فنقل عن ابن الكلبي ، كما نقل عن الواقدي وابن اسحاق ومحمد بن سعد بن منيع صاحب «الطبقات» .

ويظهر أن النسخة التي سنصفها فيما بعد هي مسودة المؤلف فقد أكثر فيها الحواشي ، وضرب على بعض ما كتبه أولاً ، ووضع مكانه كتابات أخرى في الهامش (انظر الصورة) .

وعندما ينتهي من تراجم رجال الفخذ من القبيلة يتبع ذلك بتراجم حلفائهم ، ان كان لهم حلفاء . ولما انتهى من تراجم المعروفين ختم الكتاب بفصل بعنوان : (ذكر رجال من الأنصار ، لم يُعرف من أي قبائل الأنصار هم) ثم اتبعه بفصل آخر بعنوان : (ذكر قوم عرفوا بأسمائهم) ثم ثالث بفصل : (ذكر النساء الأنصاريات ، اللاتي لم تعرف قبائلهن) وآخر هذا الفصل : (امراة عبد الله بن رواحة : قال ابو عمر : رويتا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمه له ، فناها ، فرأته امرأته ، فلأتمته فجحدتها ، فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال : شهدتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَشْوَى الْكَافِرِينَ وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ حَقٌّ (٩) وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ فقالت له امرأته : صدق الله ، وكذبت عيني - وكانت لا تحفظ القرآن .

آخر الكتاب : والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه) . ويقع الكتاب في (٧٤) ورقة ، في الورقة صفتان ، وفي الصفحة (٢٧) سطراً ، وفيه هامش كثيرة .

والنسخة من مخطوطات (دار الكتب المصرية) ورقها في فهرس الدار (٣٤٩) .



وهو وكتاب «التبیین» في مجلد واحد يقع في (١٧٧) ورقة .

وهذا الكتاب يصحح لنا مواضع كثيرة في تراجم الصحابة من الأنصار ، في الكتب المطبوعة التي وقع فيها تحريف وتصحيف كـ «الاستيعاب» و«أسد الغابة» و«الإصابة» .

وقد طبع هذا الكتاب في بيروت سنة (١٣٩٢ هـ) بتحقيق صديقنا الأستاذ علي تويهض وكتب مقدمته صاحب هذه المجلة - «العرب» س ٧ ص ٨٠ - .

حمد الجاسر

مع القراء في أسئلته وتعليقاته

جبل لَحْيِي جمل

في عدد شعبان ١٤٠٣ هـ لفت نظري ما ذكرتم عن جبل (لَحْيِي الجمل) الذي ورد ضمنًا في حديثكم عن «المعجم الكبير» حيث أشرتم أنه يقع على الطريق بين تثليث وبيشة وأنه ربما يكون (صنان) الذي ذكره الهمداني في «صفة الجزيرة» قرب (بنات حرب) في بلاد شهران ناحية بيشة .

وأحبُّ التوضيح أن ما أورده الهمداني عن لحي الجمل أو صنان كما اسماء يختلف عن موقع ووصف لحي الجمل المعروف الآن لدى العامة بـ (أح ييجمل) تحريف عن (لحي الجمل) حيث قال : إنه شعب بينا هو جبل ، وأنه في بلاد شهران بينا هو في بلاد عبيدة قحطان .

أما القول بأن اسمه صنان فلا أعرف موقعًا حوله بهذا الاسم ، والخلل وعدم الدقة في وصف الهمداني يُؤكِّدان لنا أنه سمع عنه وكتب من أفواه الرواة فلم يوفق في وصفه وتحديده وقديمًا قيل : (ليس من رأى كمن سمع) .

إنَّ جبل لَحْيِي الجمل هضبة سامقة الطول تنقسم في ثلثها العلوي إلى فرعين واحد أكبر من الآخر، فتشكل في تكوينها ما يشبه فكَّي البعير، يقع على الكتف الشمالي لجبال (الحمرة) وهذه الجبال الحمراء بما فيها لَحْيِي الجمل تعتبر امتدادًا لِقُفَّة الْمَسَارِدَة، إلى جهة الشمال، وقُفَّة الْمَسَارِدَة هذه مجموعة جبال متداخلة، غالبها باللون الأسود وتتخللها عدد من الأودية والشعاب ويخز (أَح ياجمل) من الشمال شعيبُ العرج، وفي فرعه يوجد ماء العرج الذي لا ينضب، وحوله بضْعُ نخلاتٍ وبعض الآثار القديمة، ويبعد الجبل المذكور غَرْبَ بلد جَاشٍ بحوالي عشرين كيلو، على يسار المسافر من جاش إلى بيشة، عبر (نجد السَّعِيدَة) وجنوبًا عن طريق تثليث بعشرين كيلو أيضًا .

ويشرف جبل لَحْيِ الجمل على وادي الثَّنِّ والمصامة من الناحية الشرقية.
والمصامة هنا هي المفازة التي تشبه الدارة بين جبال الْحَصِيرِ ووادي الثَّنِّ وتعرف
قديمًا بِمَصَامَةِ بني عامر .

بقي أن نعرف أن هذا الجبل معروف لدى سكان المنطقة ، وأشهر من نارٍ على علمٍ ،
وبه يَسْتَدِلُّ المسافر الغريب الذي لا يعرف سواه من الجبال نظرًا لتميزه بشكله الفريد الذي
لا يشبه شيء من الجبال الأخرى .

هذا وأرجو أن أكون قد أوضحت ما يجب إيضاحه عن هذا العلم الهام من أعلام
بلادنا .

وادي جاش : فراج بن شافي بن ملحم

الحال في السراة

يضاف إلى (ص ٨٥٥ س ١٧) بعد السطر الحادي عشر :

قال في «معجم البلدان» : الحال - آخره لأم - : بلد باليمن ، من ديار الأزد ، ثم
لبارق وشكر منهم . قال أبو المِنْهَالِ عَيْبَةَ بنُ المِنْهَالِ : لما جاء الإسلام سارعتُ إليه
شكرًا ، وأبطأتُ بَارِقُ وهم إخوتهم ، واسم شكر وَالْآنُ . وفي كتاب «الرَّدَّة» الحال من
مخاليف الطائف . والحال في اللغة : الطين الأسود ، وله معاني أخر . انتهى كلام ياقوت
وكلمة (شكر) وردت محرفة (يشكر) وانظر النَّصُّ في «تاج العروس» ومن مصادره كتاب
«العباب» للصاغاني وكتاب نَصْرِ الإسكندري .

ابن فهد المكي

مما لم يذكر من مؤلفات ابن فهد المكي عند ذكر مؤلفاته في «العرب» س ١٨ ص ٤
وما بعدها كتاب «بغية الطالب الفالح» ، من مشيخة قاضي طيبة أبي الفتح صالح» تخريج

الشيخ محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي. عشرة أجزاء في مجلد، بخط قديم غير مؤرخ في (مكتبة البلدية) في الإسكندرية برقم (ن ١٨٠٥ د).

لعل السخاوي في «الضوء اللامع» ج ٦ ص ١٢٨ - في ترجمة ابن فهد المذكور حين قال : وخرّج نفسه ولأبيه «المعجم» و«الفهرست» وكذا خرّج لأبي الفتح ثم أبي الفرج المراءيين ولوالدهما) الخ لعله يقصد هذا الكتاب، فأبو الفتح المراءغي من شيوخ نجم الدين محمد بن محمد بن فهد، المدعو أيضاً باسم (عمر) وبهذا الاسم ترجمه السخاوي .

ونشرت مجلة «أخبار التراث العربي» ج ٧ تاريخ شعبان سنة ١٤٠٣ هـ (ص ١٠) أن من بين مخطوطات (مكتبة البحث العلمي في جامعة كاليفورنيا) كتاب «رسائل ابن فهد» - ١١٥ ورقة - بخط عبد الحمود بن محمد بن علي بن محمد بن نُميّ الحسني في ٨١١ هـ وهي :

- ١ - «اللمعة الجلية في معرفة النية».
 - ٢ - «واجبات الحج ونياته».
 - ٣ - «كفاية المحتاج، في مناسك الحاج».
 - ٤ - «الهداية في فقه الصلاة».
 - ٥ - «الفصول في الدعوات معقبة الصلوات».
 - ٦ - الرسالة النضيدة في فقه الصلوات.
 - ٧ - «التّحصين، وصفات العارفين» - في العزلة -
 - ٨ - «مصباح المبتدي، وهداية المقتدي».
 - ٩ - «ملخص ما ذكره الأوائل في معرفة المنازل» - منازل النجوم - رفقها :
- (Coll. 1147 - No. 1313).

ويظهر أن صاحب تلك الرسائل هو عمر بن محمد بن فهد.

وفي (دار الكتب المصرية) من مؤلفات ابن فهد، مما لم يطبع :

- ١ - النور الباهر الساطع ، من سيرة ذي البرهان القاطع.

٢ - المطالب السنية العوالي، بما لقريش من المفاخر والمعالى .

٣ - عمدة المتنخل، وبلغة المرتحل.

٤ - طرق الاصابة، بما جاء في الصحابة .

وكلها منسوبة إلى تقي الدين ابن فهد .

جَبَلُ الرَّيَّانِ ... فِي بِلَادِ طِيٍّ

إنني من المدركين أهمية معرفة الأماكن في بلادنا والحقائق التاريخية خاصة في بلاد الجبلين .. ومن المطلعين على كتابكم القيم «شمال المملكة» .

ومن الأماكن الواردة بالكتاب الرِّيَّان . أفلا ترون أنه المعروف الآن باسم (الرِّيَّاض) أبدلت النون ضاداً؟!

ويقع شرق جبل رَمَّان وتجرى من تحته المياه في كثير من الأوقات . وهو ما يعرف الآن بوادي أراط أو (راط) وقديماً حِسَاءَ رَبِّ بْنِ جَبَل سابل (سابلات) وفرتاج ..

وقد ورد في كتابكم عن «شمال المملكة» ص ٦١٥ ، ٦١٦ أن الأوصاف التي ذكرها المتقدمون تنطبق على أبرز قمة من قمم أجاء، تعرف الآن باسم (الرَّعِيْلَة) والآن أشارك مؤلف الكتاب بما يدل على الصواب بحكم أنني من أهل الجهة وأقول : إن ما نقل عن نَصْرِ بَأَنَّ الرِّيَّان جبل اسود ينطبق أكثر على جبل الرِّيَّاض الواقع شرق رَمَّان لأن الرعيْلَة جبل بين السُّمْرَة والحُمْرَة، أما الرِّيَّاض فهو جبل اسود شامق بالنسبة لجبل رَمَّان ومنفصل عنه .

ثم إن ما ورد في «معجم ما استعجم» للبكري من أن الرِّيَّان جبل بين طِيٍّ وأسد دليل أقرب إلى الحقيقة على أن الرِّيَّان هو الرِّيَّاض وليس الرَّعِيْلَة الواقعة في شمال جبل أجاء، الذي لم يكن بين طي وأسد كما أنه من المؤكد أن فرتاج لبني اسد، وبيعد الآن جنوب شرق جبل الرِّيَّاض بحوالي عشرة أكيال أو خمسة عشر كيلاً .

وفي الكتاب (ص ٦١٧) وكان حِسَاءَ رَبِّ لطي . إِذَنْ الرِّيَّاض الآن يقع بين حِسَاءَ

رَبِّهِ وَفِرْتَاجِ بِلْ يَرْكَبُ فَوْقَ حَسَاءِ رَبِّهِ، وَلَهُ فَمَّةٌ عَالِيَةٌ عَلَى مَا حَوْلَهُ، فَهُوَ بَيْنَ طَيِّ وَأَسَدٍ قَدِيمًا).

فا رَأَيْكُمْ ؟!

حابل - البلدية : سعيد بن فهد الدوخي

الحصنان : (آل الحصيني) من آل سند

اتصل لي أحد الإخوة من الحصنان - واحداهم حُصَيْنِي، من أهل الشَّقَّةِ السُّفْلَى، من قُرَى بُرَيْدَةَ قاعدة بلاد القصيم، وَقَدَّم لي وثيقة تحوي :

١ - كتابة موقعة باسم إبراهيم بن محمد بن خميس، ومصدقة باسم عبد الرحمن بن عبد الله الخيال قاضي المستعجلة الأولى بجدة، ومؤرخة في ١٣٩٤/١/٢٩ هـ ومضمونها : (طلب مني الأخ سليمان بن حمود الحُصَيْنِي الإفادة عَمَّا أعرفه بالساع عن أَسْرَتِهِ . وأفيدُ : بأن من المستفيض أن آل سند الذين منهم الحمولة المعروفة باسم الحصنان من أهل الشَّقَّةِ السُّفْلَى أنهم من الأوهية(?) من قبيلة بني تميم، وإن كُنَّا نرى أنهم مُتَدَجِّحون في الوقت الحاضر بطريق المصاهرة مِنَّ لا يَنْتَمِي إلى أصل عربي. إِلَّا أَنَّ آل سند المذكورين في الأصل من بني تميم. ثم التوقيع .

٢ - كتابة موقعة باسم ناصر بن محمد الحناكي القاضي المتقاعد، مؤرخة في ١٤٠٣/٧/١٢ هـ ونصُّها بعد البسملة : (آل سند المعروفون باسم الحصنان، أهل الشقة السفلى هم من قبيلة بني تميم، الوهبة، بالاستفاضة المحققة لدي، ولطلب بعضهم حررت له هذه الشهادة). ثم التوقيع والختم .

٣ - كتابة مخزومة وموقعة باسم علي بن إبراهيم بن مُشَيْقَح - مساعد رئيس محاكم القصيم سابقاً، مؤرخة في ١٤٠٣/٨/٣ هـ ونصُّها : (بناء على ما طلبه مني كل من محمد بن عبد الكريم الحصيني، وعلي الناصر الحصيني الإفادة عما لديَّ وأعرفه بالساع،

الشيخ الإمام صاحب بن حمزة الحميري القادسي عا أقرام بالسابع من أسرة وأجدد بسان
من المستشرقين إلى أن سجد الذين ولهم المونة العميرة باسم الحصان من أهل الشفة
الغالبين منهم من الأزهري من قبيلة بني تميم وإن كان غير أنهم سجد جون في الوقفات
الحاجرة بآخرة الصاهرة ثم من لا يفتي إلى أصل عن الأنا إلى سند المذكورين عن
الأصل من بني تميم القبيلة الحميرية عند ربة نال لهم كقرني نكب الأنساب والمم الموافق ، ،

[illegible][illegible]

الحصنان ونسبهم

وحسب الاطلاع، عن أسرته. فأقول : المستفيض المتحقق أنَّ أهل الشقة السفلى من قضاء مدينة بريدة، يعرفون بالحصنان، ويعرفون بالسند، أنهم من قبيلة بني نعيم، حتى لا يخفى، وأنهم من الوهبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه).

(انظر الصورة في الصفحة رقم ٥٦٣)

آل عبد المنعم في الزلبي

اطلعت على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وفي ص ٥٥٤ جاء ذكر أسرة آل عبد المنعم. ولأنني أنسب إلى هذه الأسرة وأعتبر أحد أفرادها فقد لفت نظري أن ما كتب تحت اسمها ناقص فرغبت أن أكتب هذا الإيضاح.

أسرة آل عبد المنعم بالزلبي تنتمي إلى أحد أجدادها وهو عبد المنعم بن سعدون بن محمد بن مقرن. وهي فخذ من آل راشد الأساعدة من قبيلة الروقة، من عتيبة.

وقد توفي عبد المنعم هذا عام ١٣٢٤ هـ وخلف أربعة أولاد هم مساعد وعبد الرحمن وسعدون وفريح.

وقد انتقل ابنه مساعد آل عبد المنعم إلى عتيبة واستوطنها، وانتقل معه ابنه علي وعبد العزيز، أما ابنه الثالث عيد فبقي في الزلبي.

أما الأبن الثاني وهو عبد الرحمن فبقي بالزلبي وله من الأولاد محمد وأحمد وثلاث بنات كلهم يقطنون الزلبي هم وأولادهم. وتوفي عبد الرحمن سنة ١٣٤٣ هـ.

وأما الأبن الثالث فهو سعدون آل عبد المنعم وقد خلف ثلاثة أولاد هم محمد وعبد العزيز وعبد المنعم.

وأما الأبن الرابع لعبد المنعم فهو فريح آل عبد المنعم وقد بقي في الزلبي وله من الأولاد محمد وعبد الله وأختهم وهم يقطنون الرياض الآن.

هذه هي أسرة آل عبد المنعم في الزلبي وعتيبة ولا علاقة لهم بأسرة آل عبد المنعم في

بريدة إذ أنَّ أسرة آل عبد المنعم في بريدة من المطاوعة وهم من الطراقي من الدواسر .
أما أسرة آل عبد المنعم في الزلبي وعنيزة فهم كما اسلفت من الاساعدة من الروقة من
عتيبة .

الرياض : كلية العلوم الاجتماعية : مقرن بن عبد العزيز آل عبد المنعم

آل خاطر... وآل بُويْت

اطلعت على ما كتبه السيد/حمد بن علي السالم في مجلة «العرب» عدد رجب وشعبان
عام ١٤٠٣ هـ عن (آل بُويْت من بني خالد) وما ذكره عن (آل خاطر) في الجبيل
وانتمائهم لـ (آل بُويْت) فلزم التوضيح :

١ - إن (آل بُويْت) أسرةٌ معروفة في الأحساء من بني خالد، ولقد حدث أن زارنا
رجال من آل بُويْت منذ سنين، ووضّحوا لأحد شيوخنا بما في أفكارهم من انتماء
الأسرة لهم، وأخبرهم بما هو صحيح أنه لا صحة لما قالوا . وأن أسرة آل خاطر من قبيلة
(آل بوعيين) الذين عادوا من الوكرة في قطر إلى بلدهم الأول (عَيْنَيْن) في العشر الأواخر
من رمضان سنة ١٣٢٧ هـ وانتماء الأسرة إلى (آل بوعيين) أمرٌ معروف لا جدال فيه .

٢ - ما ذكره في قوله (علي بن لحدان) من ذريته آل خاطر، منهم (آل ابن علي) في
(عينين) الجبيل، لا أعلم مَنْ يقصد بـ (آل ابن علي) حيث لا يوجد من آل خاطر أسرة
بهذا الاسم، ولا من القبيلة أيضاً. وللتذكرة إن (آل ابن علي) اسم لقبيلة معروفة تقطن
قطر والبحرين.

٣ - قوله : إن (آل بُويْت) كانوا منتشرين في منطقة الخليج وفي (عينين)
- الجبيل - وفي جَنَّةِ والمسلمية الخ .. ، وأقول سياقاً لما ذكرته إن آل خاطر وأسرهم (آل
بوعيين) حيناً نزلوا (عَيْنَيْن) موقع المدينة عمروها وهي أرض جَرْدَاء، لا عمران فيها .
وقد قبلت قصائد كثيرة في ارتحالهم من قطر وعودتهم للجبيل، استشهد ببعض
الآيات منها :

مما قال الشيخ عيسى بن علي آل خاطر :

ترهي بنا دار لها ست حجات مِثْمِيزَه ما بين مقبل وغادي
ما قبلنا أحد سكنها ولا بات سديس ليل يَهْتِنِي بالرقاد
مِذْهال اهل هِجْنٍ، خفاف وعجلات ذولا مَسَاكِيفٍ وذولا عَوَادي
فيها سكتنا وسكنت كل شوشات بر الذي بمره جميع العباد
وَحَمًا لها صرنا بُجِيشٍ وزَلَبَاتٍ والضد لي جا ما يُحْصَلِ مراد

ومما قاله الشاعر عيد بن خلف العاصمي القحطاني من قصيدة طويلة :

خَوَاطِرُ، عند القبائل عَزِيزِينَ يَنْتَبِهُمُ البَيْتَ العَرِيبَ التَّحِيبَ
بَيْنَ نَبَاهُمُ يَوْمِ جَوٍّ عَانِينَ شَدُّوا مِنْ مَا (الوَكْرَةَ) بَلَاءَ حَرْبٍ
وسواتهم هذى سَوَاةُ السُّلاطِينِ جَزَاغَةً عن كل مَيْلٍ وَعَيْبِ
شالُوا على سَرْدِ البَتَائِلِ عَجَلِينَ معا سَنَابِقِ تَبَوُّجِ الغُبيي
وَنَالِي خَشْبَهُمْ بَقْلُصُونَهُ نَحْلِينَ وكُلَّوْا يسير بغِيلَمِينَ وجبي
وَنَشَوْرَهُمْ حطت بروس القَرَامِينِ وعييدهم تضرب مع الطبل يبي
كم غِبَّةٍ مَرَّوْا عليها مُسَرِّينَ والموج لين قام شوفه يشبي
من سَيْفَةِ (الوَكْرَةَ) إلى سيف عَيْنِينَ أَمْرٍ على كل القبائل تعيب
وَبَنَوْا لهم شِرْعٍ وَبَنَوْا صِبَاوِينَ وبنوا مقاصير ابناها عجيبي

ومما قاله محمد بن راشد بن علي (البوعينين) وهو في قطر من قصيدة طويلة :

بَرٌّ شَالِينَا لَنَا فِيهِ سَابِقُ مَوَارِيثَ جَدِّ رُسُومَهَا بَعْتَدَالَهَا
(عَيْنِينَ) وَ(الصَّافِي) وما كان بَرُّضَهَا من الْخَيْسِ باقِي غَرْسَهَا فِي رَمَالَهَا
وَجَبِيلُهَا الْبَرِّيَّ وَبَحْرِيَّةً واحِدُ شُهُودٍ وَيَكْفِي شُوفَهَا مِنْ سِوَالَهَا
ويكفي مظن الراي بالدار شاهد مَوَاكِرَ وَهَدْبَهَا حَرَارِ نَوَادِرَ
مَوَاكِرَ وَهَدْبَهَا حَرَارِ نَوَادِرَ بَتَّوْهَا وهي جمرَة يَشَبُّ اشْتَعَالَهَا

ومما قاله عبد الله بن محمد بن علي الخاطر من قصيدة طويلة :

دارنا للضيف فيها مَدَهْلَ قافرةً من قبلنا بَرٌّ وَسَيْفُ
حَنَ عَمَرْنَاهَا بَتَيْسِرِ الْوَلِي بِالْعَزْمِ وَالْمَالِ تَدِيرِ الْلطِيفِ
ثَمَّ حَمِينَاهَا بُسَيْفٍ يَصْقِلُ لِيْنَ شَافَ الضَّدَّ مِنْهَا مَا يَعِيفُ

ما قاله الشاعر عبد العزيز بن فليح النجدي سنة ١٣٢٩ هـ في الشيخ محمد بن علي
الحاظر من قصيدة طويلة :

يا سلامي على اللي طَوَّلَ الْغِيَةَ عَقَبَ مَا رَاحَ هَالُمُدَّةً صَبْرُنَاها
حي شيخٍ لَفَى وَالْفَلَكَ تَجَرَّى بِهِ حَجَّ (مَكَّةَ) وَ(طَبِيبَهُ) زَارَ مَوْلَاهَا
شَيْخَنَا الْيَ عَلَى الشَّدَاتِ زُرْهِي بِهِ نَامَنَ الدَّارَ لِيْ مِنْ صَارَ بِجَاهَا
وَأَنَّ نَوَاهِ الْعِدَوِّ كَثُرَتْ نَحَاسِيهِ خَافَ مِنْ لَابَةِ يَذَلُّ مِنْ جَاهَا
نَقْلَهُمْ (مَوْزِرٍ) مَخْلَفَ لُؤَالِيَّةٍ فَوْقَ قُبٍّ مِنْ الْمِسْمَاةِ مَجْنَاهَا
دُونَ سَيْفٍ نَزَلَ مَا عَادَ يَصْخِي بِهِ وَرَثَ رَبِّ الْخَلَائِقِ مَا شَرَكْنَاهَا
هَمْ هَلِ الدَّارَ وَحَاةٍ لِّجَانِبِيهِ نَاشِي عَزَاهَا مِنْ خَطِّ مَبْنَاهَا
«دِيرَةَ لِلْعُيُونِيَّةِ» لَهَا هَيْبُهُ مَا يَجْلِيْ دَنُوعَ النَّفْسِ يَاطَاهَا
يَبْذِلُ الْمَالَ لِيَصَارَتْ مُوَاجِبِيهِ يَبْدِيْ أَعْذَارُنَا وَالْأَ حَمِينَاهَا

محمد بن علي بن عيد الحاظر

أُسْرَةُ الْمَزِينِي مِنْ قَبِيلَةِ مُزَيْنَةَ

بعث إلى مجلة «العرب» الأخ حمود بن عبد العزيز بمعلومات عن أسرة المزيني التي
سبق أن أشارت مجلة «العرب» - س ١٧ ص ٩٤٦، ٩٤٧ - إليها، وملخص تلك
المعلومات : أن هذه الأسرة تنتسب إلى عبد الله بن نايف الذي أصيب بمرض الجدري
بمدينة حائل فاعتنى بعلاجه محمد السلیمان الشدوخي، فتزوج عبد الله ابنته فأثت منه
بولدين محمد وراشد ومن هذين الولدين تفرعت الأسرة على ما سيأتي إيضاحه .

وقد انتقل عبد الله مع أسرته إلى بلدة الكهفة وعبد الله هذا هو ابن نايف بن ضيف الله بن غازي بن محسن السرياني، والسراينة من مسعود الذين من فروعهم النحائية، وهجرتهم الفوارة ومن فروع مسعود العربات والسراينة الذين تنسب إليهم أسرة المزيبي، ومن فروع مسعود أيضاً العونة والقيصة والدبايغ والحتم.

وهذه المعلومات مثبتة في (شجرة نسب أسرة المزيبي) التي تحوي تصديقاً موقعاً باسم صلاح بن محمد بن نحيث إمارة الفوارة، ونص ذلك التصديق: (إن من الثابت المعروف لدينا أن هذه الأسرة تدعى المزيبي، وهم ينتمون أصلاً إلى السراينة من بني مسعود من مزينة، ومزينة بطن من المراوحة من بني سالم من حرب).

وها هو بيان فروع (آل المزيبي) كما في تلك الشجرة: (هجرة أولاد محمد وراشد بن عبد الله الأول بن نايف بن ضيف الله:

١ - مسلم بن محمد: لأزال بعضهم بقم بالكهفة وهم ذرية محمد بن علي والبعض الآخر انتقل إلى البكيرية والرّس وقرى القصيم والرياض ومكة المكرمة، ومنهم من هاجر إلى الشام ومصر بتاريخ ١٣٤٠ هـ.

٢ - عبد الله بن راشد: أولاده البعض منهم سكن قفار وحائل والرياض والبعض هاجر إلى الكويت بعد سقوط حائل مباشرة والبعض الآخر هاجر إلى مدينة (أبوكال) في سوريا بتاريخ ١٣٤٠ هـ.

٣ - نايف بن راشد: أولاده انتشروا في بلاد القصيم، ومنهم من سكن البكيرية والرس وعيون الجوا والبدائع والرياض.

٤ - سالم بن محمد: أولاده سكنوا البير ورغبة وثادق في الوشم والرياض.

٥ - عبد الله بن محمد: أولاده رحلوا من الكهفة إلى الجمعة بتاريخ ١٢٥٠ هـ ولازالوا مقيمين فيها، ومنهم من هاجر إلى الزبير في العراق ومنهم من سكن الرياض وجدة.

٦ - سليمان بن محمد : هاجر إلى غزة بفلسطين ولازالوا مقيمين فيها وذريته انتشرت في البلاد العربية .

٧ - عبد الرحمن بن راشد : وهم سكان القصبة في بريدة ، ومنهم من هاجر إلى الدمام والكويت .

٨ - صالح بن راشد : أولاده من سكان حائل وقراها .

٩ - ضيف الله بن راشد : أولاده من سكان حائل ، ومنهم من هاجر إلى الأردن بتاريخ ١٣٥٤ هـ .

١٠ - علي بن محمد : انتقلوا إلى البصر في القصيم ومنها إلى عنيزة والبكيرية والشقة والرياض ومكة المكرمة وجدة ومنهم من سكن الكويت .

١١ - إبراهيم بن محمد : أولاده رحلوا من الكهفة إلى البير ومنها إلى بريدة وقريات الجبل والرياض وبتاريخ ١٣١٨ هـ بعد معركة الصريف هاجر يوسف بن عبد الله مع أولاده إلى الكويت ولازالوا مقيمين فيها .

ضيف الله بن غازي وأولاده من أهل البادية ومنهم من سكن واقط في البتراء غرب مدينة الرس).

ومن مشاهير أسرة المزيني المشايخ :

١ - عبد الله بن إبراهيم المزيني كان قاضيًا في الغاط وتوفي عام ١٣٩٩ هـ

٢ - عبد الله بن ناصر بن عبد الله بن سعد المزيني قاضيًا في تبوك حاليًا.

٣ - محمد بن عبد الكريم بن مسلم المزيني قاض في بريدة الآن.

٤ - صالح بن رشيد المزيني كان قاضيًا في قريات الملح في الشمال.

هذا ملخص ما بعث به الأخ حمود بن عبد العزيز المزيني من المعلومات عن أسرته و«العرب» يسرّها أن تتلقّى دائماً من قرائها ما يوضح جواب من تاريخ سكان بلادنا، لاتزال بحاجة إلى التوضيح في مختلف الجوانب .

عریعة .. واین تقع ؟

لقد ورد ذكر عُرَيْعَة في كتب التاريخ واختلف في موقعها هل هي عريعة التي على طريق الأحساء التي بعثها ابن عريعر أم غيرها .

وحيث أنني أُرَجِّح أن تكون جاهلية كما ذكرها ياقوت .

وهي عريعة التي تقع في الشمال الشرقي من مدينة الزُّلْفِي في نهاية جبل طُوَيْق، بين جبلين، لذا فإني أسوق آراء العلماء في هذا الشأن: قال ياقوت في «معجم البلدان» :
عريعة - تصغير عَرَّعة - بتكرير العين والراء، وعرة الجبل غِلْظُهُ ومعظمه - وهو ماء لبني ربيعة .

وقال الحفصي عريعة نخل لبني ربيعة بالجمامة .

وقال الأصمعي : هي بين الجبلين والرمل .

وقال امرأة من بني مرة يقال لها أسماء :

أَيَا جَبَلِيَّ وَادِيَّ عُرَيْعَةَ الَّتِي نَأَتْ عَنْ نَوَى قَوْمِي وَحَمَّ قُدُومُهَا
أَلَّا خَلِيًّا مَجْرَى الْجُنُوبِ لَعَلَّهُ تُدَاوِي قُودِي مِنْ جَوَاهُ نَسِيمُهَا
وَقُولَا لِرُكْبَانِ تَعِيمِيَّةٍ غَدَتْ إِلَى الْبَيْتِ تَرْجُو أَنْ تُحَطَّ جُرومُهَا

هكذا أورد ياقوت .

أما الشيخ محمد بن بليهد فقد علق على هذا بقوله : عريعة أعرفها على طريق الأحساء، فإن كانت جاهلية فهي هذه التي ذكرها ياقوت، وإن كانت كما ذكرها الناس أنها التي بعث ابن عريعر فلا يمكن أن تكون هي، لأن المسافة بين ياقوت وابن عريعر مئات السنين، فياقوت توفي في أوائل القرن السابع الهجري، وابن عريعر في القرن الحادي عشر الهجري، وعريعة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد. انتهى .

بني أن أقول : إن الصحيح هو أن عريعة جاهلية وأنها مورد ماء ترد عليه القبائل

الرَّحْلُ الَّتِي تَقُطِنُ السَّبِيلَةَ وَالْجَفْرُ، وما حولها، بدليل قول الشاعرة البتوية فأخذت تردد الشعر وتسمى أن ترى جبلي وادي عريعة التي بعدت عنها .

وعريعة التي بقرب الزلني هي كما وصفها الشاعرة المذكورة جبّلان، وسطها وادٍ وعلى جنبه نخل، وهي مورد لقبائل شتّى ترد عليها، ونخلها يروى من الأمطار، وفيها آبار ترد عليها البادية لتسقي مواشيها ولتروى منها، ولا زالت مورودة إلى عهد قريب .

محمد بن عبد الله بن أحمد الرومي

«العرب» : من سياق النصوص التي سنورهاها بعد هذا يتضح أن الاسم يطلق على ثلاثة مسميات :

١ - أحدها ماء لبني ربيعة من بني عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، وهذا يقع في عالية نجد، جنوب هجرة الحاضرة، بين جبلي الضمر والضائن - المعروفين الآن باسم (الضنيّة) و(أم قحوف) وبين الرمل المعروف الآن بنفود الصّحّة، وقديماً برملة بني عبد الله بن أبي بكر بن كلاب.

قال صاحب كتاب «بلاد العرب» ١٢٨ - : في الكلام على بلاد بني ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب : (ثم إقبال الرَّمْلِ قَصْدَ الضُّمْرِ والضَّائِنِ : فَلَهُمْ ماء يُسَمَّى قُنَيْعًا لبني قُرَيْط، ولهم السَّعْدِيَّةُ، ماءة، ولبني ربيعة بن عبد الله ماءة يُقال لها الدُّبَّةُ.

والضُّمْر والضَّائِنُ عِلْمَانِ، وفي أَحَدِهِمَا الْخَضِرْمَةُ، وفي الْآخَرِ مَخْضُورَاءُ، وَكَانَا فِيمَا مَضَى لبني سُلُولٍ، وهُمَا فِي قِبَلَةِ مَعْدِنِ الْأَحْسَنِ، وَمَعْدِنُ الْأَحْسَنِ لبني أَبِي بَكْرٍ بن كِلَاب.

وعُرْيَعَةُ ماءةٌ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَالرَّمْلِ، وَكُلُّ هَذَا لِرَبِيعَةَ بن عبد الله من بني أبي بكر بن كلاب). انتهى

وكلام الأصمعي الذي أورده ياقوت ينطبق على هذا الماء وهو يقصد بالجبلين الضمر والضائن، وبالرَّمْلِ نفود الصّحّة (السّحّة) الذي لا يزال معروفاً .

الثاني : الموضع ذو النَّحْلِ الذي نقل ياقوت عن الحفصي أنه باليمامة والحفصي هو

محمد بن إدريس بن أبي حَفْصَةَ، من أهل اليمامة، وله مؤلف عنها، أكثر ياقوت النقل عنه - انظر «العرب» السنة الأولى ٦٧٣ وما بعدها -

وهو خبير بمواضع اليمامة، ولكن القول بأن عُرَيْرَةَ التي في اليمامة لبني ربيعة مُشْكَل، فالمواضع التي بقرب عُرَيْرَةَ هذه لبني العنبر من بني تميم، وقد يكون خالطهم من قبيلتهم أحد من ربيعة تميم، وأخشى أن تكون جملة (لبني ربيعة) من إضافات ياقوت على كلام الحفصي، وأن المقصود بها الماء الذي يقع في عالية نَجْدٍ، فهو بدون شك كان من مياه بني ربيعة من بني عبد الله بن أبي بكر بن كلاب - من هوزان - .

وهذا الموضع الواقع في اليمامة هو الذي ذكره الأخ ابن رومي. وذكره الأستاذ عبد الله بن خميس في «معجم اليمامة» حيث أورد ما في «معجم البلدان» وقال بعده ما ملخصه : (عُرَيْرَةُ معروفة الآن، في شعب من شعاب طُوبِقٍ، مقابلةً لبلدة الرُّلَي من الشرق بميل نحو الشمال، شُعْبٌ ضَيْقٌ، به نخيل وسكان. وقد دخلتُ هذا الشُعْبَ وَتَجَوَّلتُ فيه. وأدركتنا القيلولة، فقلنا في كهفٍ من كهوفها، وبلد الرُّلَي واقع بينها وبين الرَّمْل - الرغام - ويقول أحد الشعراء :

عَسَى الْحَيَا يَسْقِي زَبَائِرَ زَلْغِيْفٍ وَيَسْقِي فُرُوعَ عُرَيْرَةَ مِنْ قُبَالَةٍ
حَيْثُ مَقَرَّ لِلْبَنَاتِ الْعَطَارِيفُ دَبَاخَةَ لَلِّي بُرَاعِي ظَلَالَةٍ

وذكر في موضع آخر - ج ١ ص ١٨ - أن عُرَيْرَةَ من أنوف العارض - طوبق - فكأن الاسم يطلق على الشُعْب وعلى الجبل الذي بقربه وكأن الأستاذ عبد الله بن خميس ظنَّ أنَّ (الرمْل) المذكور فيما نقل ياقوت عن الأصمعي هو رَمْل الرغام الذي يقطعه خَلُّ زَلْغِيْف (نفود الثويرات) ولكن عُرَيْرَةَ التي عنها الأصمعي هي التي تقدم ذكرها.

الثالث : عُرَيْرَةَ في المنطقة الشرقية، كانت مَنَهْلًا، فأصبحت الآن هجرة، وقلت عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» - المنطقة الشرقية ص ١١٥٣ - ما نصه :

هذا الاسم يطلق على مواضع ذكر بعضها ياقوت ومنها ماء لبني ربيعة باليمامة. ونقل

عن الأصمعي : هي بين الجبلين والرمل ثم أورد أبياتاً رقيقة ، لامرأة من بني مرة أوردها الشيخ محمد بن عبد القادر في كتاب «تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء» - ٢١/١ - وقال بعد إيرادها : هي معروفة باسمها وفيها هجرة منصور بن جمعة العجمي من العُجَّان من يام ، من قحطان. انتهى كلام الشيخ .

وأقول : عريرة التي ذكر الشيخ ليست المقصودة بما أوردته ياقوت في «معجم البلدان» فتلك في البامة ، أو بين جبل طيء وبين الرمل كما في كلام الاصمعي . أما عريرة التي من هجر العجَّان فلا تزال معروفة ، وهي واقعة بين جبل يسمى باسمها ، وجبل حمراء جودة ، جنوب متالع غير بعيدة عنه .

وكان هناك طريق يمتد من الهفوف ماراً بعريرة يسمى (درب العرعي) يتجه إلى معقلة وعلى جنوب هذا الطريق طريق آخر يمر بجودة يعرف بدرب الجودي . انتهى . وقولي عن عريرة (أو بين جبلي طيء وبين الرمل) خطأً محضٌ ، سببه نقل ياقوت الكلام الذي نسبته للأصمعي مبتوراً ، وهو كاملٌ في كتاب «بلاد العرب» - كما تقدم - والجيلان عند الإطلاق هما جبلا طيء ، والرمل بقربهما رمل الدهناء في الشرق ، ورمل عاليج في الشمال .

فأنت ترى - أيها القارئ الكريم - أن ثلاثة من الباحثين وقعوا في الخطأ ، في فهم النصوص التي أوردتها ياقوت في «معجم البلدان» ولكن بالرجوع إلى مصادر ياقوت قد يتضح كثير مما خفي من تلك النصوص .

تضافروا وتظافروا (بالضاد والظاء)

وقع في «العرب» س ١٦ ص ٩٥٤ ما نصه : (ونرجو أن تتظافر الجهود لنشر الكتاب كاملاً) أي «عيون التاريخ» لابن شاعر الكتيبي .

وكتبت كلمة (تظافر) بالظاء ، والمعروف كتابتها بالضاد (تضافر) وقد نبّه على هذا

أحد القراء ولكن بالرجوع إلى كتاب «تاج العروس» - باب الرءاء، فصل الضاد وفصل الظاء - اتضح جواز كتابة الكلمة بالحرفين، وها هو نص ما ورد فيه : (تضافروا على الأمر : تظاهروا وتعاونوا).

وفيه أيضًا : (ومما يُستدركُ عليه : تظافر القومُ، وتظاهروا، بمعنى واحد، قاله الصاغاني. قُلْتُ : وفي «إضاءة الأدْمُوس» لشيخ مشايخنا أحمد بن عبدالعزيز الفيلاي ما نصه : وقد نبّه السَّعْدُ في «شرح العَصْدِ» أنَّ التظافِرَ لَحْنٌ، قال : ولكني رأيتُ في تأليف لابن مالك فيما جاء بالوجهين أن التضاْفَرُ مما يُقال بالضَّادِ والظَّاءِ. انتهى. قُلْتُ : يعني بذلك التأليف اللطيف «الاعتضاد، في الفرق بين الظاء والضاد» وقد اختصره أبو حيان فسمّاه «الارتضاء» وهذا القول مذكور فيها. انتهى كلام صاحب «تاج العروس».

البداوئة من عنزة

لقد اطلعت على ما في كتاب «معجم قبائل المملكة» ص ٢٣٧ ونصه : (الديبوي : من ولد على من عنزة، حول خير).

إن الصحيح لاسم الفخذ هو البداوئة الجماعي، أما الفردي البديوي، وإن مساكنهم تقع في وادي نَحْلا بالقرب من العُلا، شرقي مُغَيَّرَا وهذا الوادي يوجد فيه كثير من النخيل والآبار والمزارع والهجر.

لهذا نأمل من أستاذنا الكريم تعديل ذلك الخطأ بالنسبة. لاسم الفخذ وموقع مساكنهم كما أوضحت. والسلام عليكم ..

الرياض : قيادة القوات الجوية : رجاء بن حماد العنزي

«العرب» : شكرًا للأخ الكريم، ومزيدًا أيها الإخوة القراء من تصحيح الأخطاء الواقعة في ذلك الكتاب أو في غيره من منشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) إذ (المؤمن مرآة أخيه المؤمن).

□ فضائل الصحابة :

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١/١٦٤ هـ) أَجَلٌ من أن يُعَرَّفَ ، فهو إمام أهل السنة والجماعة الذي قال فيه أحد العلماء : كل حديث لا يعرفه الإمام أحمد فليس بحديث ، وكتابه «المُسْنَد» من أشمل المؤلفات لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكتاب «فضائل الصحابة» من مؤلفات الإمام أوفى كتاب في موضوعه من المؤلفات التي نشرت ، وهو كغيره من كتب الحديث - لم يلتزم فيه مؤلفه الاختصار على ما صَحَّ من الأحاديث ، بل ترك التثبُّت في ذلك لأهل الشأن من علماء الحديث .

وقد قام بتحقيق الكتاب - عن مخطوطة فريدة - الأستاذ وصيُّ الله بن محمد عباس ، تحقيقاً يَدُلُّ على سعة اطلاع ، وعمق معرفة في علوم الحديث ، فأضاف إلى ذلك الكتاب إضافات أبرزته للباحثين مُبَسَّرًا ، مُقَرَّبًا للأفهام ، تلائم ما ينبغي أن يبرز به هذا الكتاب الجليل لِتَتِمَّ الاستفادة به .

وقد قام (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) في (جامعة أم القرى) - بنشر الكتاب ، فجاء الحلقة الثامنة والعشرين من سلسلة (من تراثنا الإسلامي) ووقع في مجلدين صفحتها (١١٠٣) .

تقع المقدمة والفهارس في (٤٥ + ١١٠ = ١٥٥) .

وصدر في عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣) عن (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر) في بيروت ، حسن الطباعة حروفاً وورقاً وتجليداً .

□ منال الطالب ، في شرح طوال الغرائب

تحدثت «العرب» س ٥ ص ٦٦٨/٥٢١ سنة ١٣٩٠ هـ - عن هذا الكتاب ، ووصفت مخطوطته ، وترجمت مؤلفه أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦/٥٤٤ هـ) .

وقد قام (مركز البحث العلمي وإحياء التراث العربي) في (جامعة أم القرى) بنشر هذا الكتاب في سلسلة منشوراته (من التراث الإسلامي) فجاء الكتاب الثامن ، وحقق الكتاب الدكتور محمود محمد الطناحي تحقيقاً يدل على عناية واهتمام وسعة اطلاع . ومع أن موضوع الكتاب لغوي ، إلا أن النصوص التي ألف الكتاب لشرحها تُعدُّ من عيون النصوص الأدبية التي يكثر ورودها في كتب التاريخ والأدب وفيها من الامتاع والطرافة ما يُزيل سأم المباحث اللغوية .

وطباعة الكتاب ممتازة ورقاً وحروفاً ، وحسن ترتيب .

صُفَّتْ حروفه بطريقة الجمع التصويري لدى (مكتبة الخانجي) ثم طبع بـ (مطبعة المدني) في مصر .

وجاء في ٧٦٨ صفحة - بفهارسه ومقدمته - وليس في الكتاب ما يدل على تاريخ طبعه سوى المقدمة المؤرخة في سنة ١٣٩٩ هـ .

□ شعر عمرو بن شأس الأسدي

عَمَرُوْ هَذَا شَاعِرٌ مُّخَضَّرٌ - أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ - مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي أَسَدٍ الَّتِي كَانَتْ مَنَازِلُهَا مَنْتَشِرَةً فِي شِمَالِ نَجْدٍ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ ضَفَافِ وَادِي الرُّمَّةِ الشَّمَالِيَةِ فِيمَا بَيْنَ بِلَادِ غَطَفَانَ وَطَيْيٍّ ، ثُمَّ عَلَى امْتِدَادِ طَرِيقِ الْحِجِّ الْكُوفِيِّ إِلَى قَرْبِ الْعِرَاقِ . أَمَّا تَحْدِيدُ الْمَسْتَشْرِقِ (لَايِل) لِمَنَازِلِ بَنِي أَسَدٍ فِي مَقْدَمَةِ «ذِيوَانِ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيِّ» فَبِحَاجَةٍ إِلَى تَصْحِيحٍ وَصَاحِبِ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» لَعَدَةِ الْأَصْفَهَانِيِّ أَوْثَقَ مِنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ تَصَدَّقَ لِمَجْمَعِ الْبَاقِي مِنْ شِعْرِ عَمَرُوْ أَوْسَعُ الْبَاحِثِينَ إِطْلَاعًا وَاعْمَقَهُمْ دَرَسَةً لِلشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ فِي عَصْرِنَا - فِيمَا أَعْلَمَ - الْأَسْتَازُ الْجَلِيلُ الدُّكْتُورُ بِيحْيَى الْجُبُورِيُّ - الْأَسْتَازُ فِي جَامِعَةِ قَطْرِ - فَنَشَرَهُ فِي عَامِ ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) نَشْرًا مُحَقَّقًا مُوَثَّقًا مُفَهَّرًا ، مَعَ إِضْوَاحِ غَرِيبِ كَلِمَاتِهِ . ثُمَّ أَعَادَتْ (دَارُ الْقَلَمِ فِي الْكُوَيْتِ) نَشْرَ الدِّيَوَانِ بِطَبَاعَةٍ حَسَنَةٍ فِي ١٣٦ صَفْحَةٍ مِنَ الْقَطْعِ الْوَسْطِ ، بِطَبَاعَةٍ حَسَنَةٍ ، فِي هَذَا الْعَامِ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م) . وَلَقَدْ أَتَخَفَ الْأَسْتَازُ الْكَرِيمُ الدُّكْتُورُ بِيحْيَى صَاحِبُ «الْعَرَبِ» بِنَسْخَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَطْبُوعَةِ .